سيسرا 4



جائزة النادي الأدبي بالجوف للزيتون

- سيدة الأشجار
- لحن أخضر
- لا تقل وحيداً
- تأملات في شجر الزيتون

دراسات ونقد

- قصيدة "زيارة"
- التأمل الفكري عند الهذليين
- الشاعر يدافع عن موته

حوارات

- محمد عز الدين التازي
- سعدي صبّاح
- د. عبد الرحمن العناد

من كتّاب العدد • عبد الله السفر • د. كوثر القاضي • تركية العمري • شيمة الشمري • عيد الحجيلي • ياسين عدنان



لوحة الغلاف

الفنان التركي/كولام

لوحات أبواب العدد

الفنان السوداني/الطيب الحضيري



SAYSARA CULTURAL QUARTERLY

فصلية ثقافية تصدر عن
نادي الجوف الأدبي الثقافي



للنشر في المجلة

- المراسلات باسم رئيس التحرير.
- يشترط في المساهمات التي ترسل إلى المجلة أن لا تكون منشورة سابقاً.
- يخضع نشر المواد وترتيبها لاعتبارات فنية بحتة.
- المقـالات المنشورة تعبر عن آراء كتابهـا ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

هيئة التحرير

4

جمادى الأولى ١٤٣١هـ
مايـــو ٢٠١٠م



غلاف العدد

نادي الجوف الأدبي الثقافي
طريق الملك عبد الله - جنوب شركة الكهرباء
هاتف ٠٤/٦٢٥٧٠٤٢ - فاكس ٠٤/٦٢٥٧٠٤٦
ص.ب: (٢٥٠٥) سكاكا/الجوف
المملكة العربية السعودية
موقع النادي على الانترنت
www.adabialjouf.com
البريد الإلكتروني
adabialjouf@gmail.com

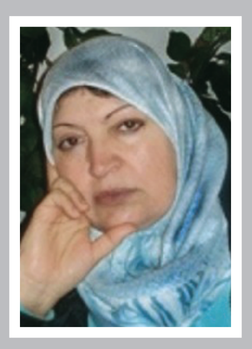
سعر النسخة (١٠) ريالات سعودية
أو ما يعادلها بالعملات الأخرى

النصوص الفائزة بمسابقة الزيتون

دراسات ونقد

إبداع: شعر

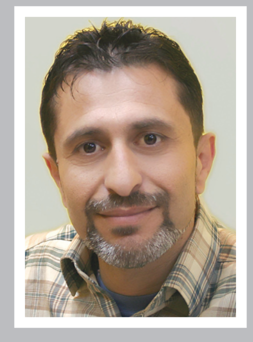
سيسرا
رقم الإيداع: ١٤٣١/١٧٦٧
ردمك: ٥٢٥٩ - ١٦٥٨



18

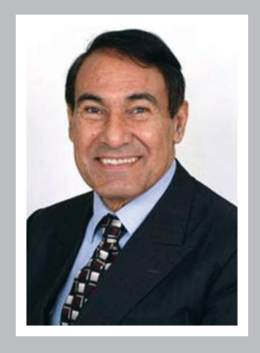


42



66

سيسرا: اسم موقع أثري نبطي بالجوف
يعود إلى أكثر من ألفي عام


75

83

89

إبداع: قصة

حوارات

أقواس

نوافـذ

إخراج وتصميم وتنفيذ: دار أصوات للنشر
سكاكا - هاتف: ٦٢٥٧٧٠٧ - جوال: ٠٥٠١٥١٦١٨٣



الافتتاحية

■ إبراهيم الحميد *

لا يبدو طريق النجاح معبداً بالورود.. ومهما كانت المصاعب التي تواجه العمل الثقافي لتحقيق الهدف المنشود، فإن الوصول إلى النجاح هو الخاتمة السعيدة التي يتمناها الجميع. ولربما كان طريق الراحة والدعة يسيراً، وأقل كلفة، من طريق طويل مليء بالأشواك والمطبات الصناعية وغيرها.. إلا أن الهمم العالية لا يحدُّ من طموحها، إلاّ الرغبة في المزيد من تحقيق النجاح والتألق والخدمة العامة للثقافة والتنمية، وهذا ديدن كل عامل ومسؤول يبتغي بعمله تحقيق الأهداف الفضلى والغاية التي وُجد في موقعه لغرض تحقيقها، كلما تزاوج سهيل مع الثريا!.

وللوهلة الأولى.. تظنها ممازحة فجة، ولكن لا تلبث أن تشم رائحة الموت المعلبة بالدخان والحرائق، ثم تستفيق على المسدس المصوب، وأنت لا تعلم هل هي الكاميرا الخفية التي تدار على الطريقة العربية، أم هي الحقيقة العارية التي تأتي بلا استئذان!.

وتعود إلى الطريق الصعب الذي اخترته، لأنه من اختارك أولاً.. ولا خيارات أخرى أمامك، فقد وُضعتَ في مكانٍ لا يمكنك التخلي فيه عن مسؤولية أُنيطت بك، ولا بُدَّ من تحقيقِ الآمال المعلَّقة على الأمكنة، بالطموح والمثابرة والعزيمة القوية. وفي هذا.. تُخالف كل الذين راهنوا على نتائج هذا الخيار.

ليس الطريق السهل هو الذي يحقق النجاح في كل الأحوال.. ولا هو الطريق الذي يحقق السلامة الطويلة، فغالباً لا تملك الخيارات التي تضعك على الطريق الأنسب.. خاصة إذا كان الطريق الصعب هو الطريق الوحيد الذي يوصلك إلى الحقيقة.

فهل أنت أمام أدخنة سوداء تحاول التلصص والوصول إلى هوائنا، أم أنك أمام جماعات صماء خرساء خاوية.. تفاقمت محنها فلم تجد بُدًّا من التنفيس عن مخرجها إلا بهذا الدخان الذي تنفثه، وعبر زرع الشوك والمسامير!.

ربما تستهلكك ساعات الانتظار الطويلة، وأنت تبحث عن أسباب لكل هؤلاء الذين شحذوا سكاكينهم استعداداً للانقضاض، ولكنك تفاجأ بهم يتراقصون جيئة وذهاباً، مع كل صوت نافر، باحثين عن الغبار والشظايا الميتة، حتى تتقاطع أصواتهم مع سكاكينهم التي لا يجدون بدّاً من توجيهها إلى صدورهم، مضرجين أنفسهم بالفراغ.

* رئيس مجلس الإدارة

النصوص الفائزة بمسابقة الزيتون



جائزة النادي الأدبي بالجوف
في مسابقة الزيتون

سيدة الأشجار

■ حسن مبارك الربيح *

فَـــوقَ التُّـراب مَهابَـــةُ الآمَـــادِ
وَقَفَتْ بكُلِّ صَلابَـــةٍ، وَجِـــلادِ

وَقَفَتْ، وما وَقَفَ امتـــدَادُ جُذورِهـا
في الأَرضِ يُبدِعُ أَعظـمَ الأَوتـادِ

المـــاءُ يَرويهـــا، ومن أثمارِهـــا
يَسري اللَّظَى، يا بدعةَ الأَضـدادِ

كَرُّ العَـواصِفِ في شُمُوخِ غُصُونِهـا
ما كانَ يَلـــوِي همَّــةَ الإصعـــادِ

وتَدَافـــعُ الأَعـــوامِ فيها لم يَكُنْ
يَسبِي اخضِـــرارَ ربيعِهـا الوَلَّادِ

الصَّيـــفُ كَم أَهوَى بسَوطِ هَجيرِهِ
في جذعِهَا، فهَوَتْ يدُ الجـــلَّادِ!

خَضـــراءُ ما مَسَّ الخريفُ بهاءَها،
أَو راعَ رقصـــةَ فَرعِهـــا الميَّـادِ

تَمضِي ليالـــي الزَّمهرير، وما خَبَا
زَيـتٌ بغَامــــرِ ضَوئِه الوَقَّـــادِ

فكأَنَّما كـــلُّ الفُصُـــولِ لها غَدَتْ
فصلاً، وظَلَّ بهـــا وُقُوفُ عِنـادِ

إنْ قِيلَ: ليسَ لهـــا تَثَنِّـي بَانَـــةٍ،
ودَلالُ صَفصَـــافٍ، ونَسمةُ كَـادي

قُلتُ: السَّخَـــاءُ الثَّرُّ منهـــا دائِمٌ
بتَعَــــاقُبِ الأَزمـــانِ، والآبَـــادِ

قُرِنَتْ بنُـــورِ اللــــهِ جَلَّ جلالُهُ،
فتبـــارَكَتْ في نَشأَةٍ، وحَصَـــادِ

وَزَهَتْ بمـــدحِ كتـــابِه، فتَخَلَّـدَتْ
في الدَّهرِ، تَسحبُ مِئْزَرَ الأَمجـادِ

بَسَمَتْ لـ (نـــوحٍ) يومَ أَنْ لاحَتْ لَهُ
مُستَبشِراً بحَمَامَـــةِ الإسعـــادِ

وَدَعَتْ كَليمَ اللـــــهِ جَذوةُ نارِهـا،
حتَّى تَجلَّى اللـــــهُ في الميعـــادِ

فكأنَّما وَجِـــدَ الجنـــانَ بنارِهـــا
مُتَوَحِّـــداً هوَ، واللَّظَى، والـوَادي

لا غروَ إنْ أَلقَـــتْ رداءَ وَقارِهـــا،
وسَرَى جُنُـــونُ الفَخرِ في الأَعوادِ

ما مِثلُها في الأَرضِ نالتْ حُظـوةً،
وكَرامَـــةً، وزكَـتْ بغَيـرِ نَفَـادِ

* شاعر من السعودية

•••••

يا شُعلـةَ الزَّيتُـــونِ، قُومي حَدِّثي ... عَن غَارسٍ فِـي غَابـــرِ الأَجـــدادِ

تَمضِـــي أَكفٌّ بـــادَلتْك حَنانَهـا ... أَو كـــان أَرَّقَك الحَنينُ الصَّـــادي؟

هَل يَنحني غُصـــنٌ لثقلِ ثِمـــارِهِ، ... أَم يَنحني حُزنـــاً لفقدِ أَيـــادي؟

أَوَّاهُ كَم تُخفِينَ مِـن جُـــرحٍ، ومـا ... أَبدَتْ ثمـــــارُك غيرَ طعمِ ودادِ!

تَهبينَ كـــلَّ النَّـــاسِ دونَ تحيُّزٍ ... لا فـــرقَ بينَ مُسالمٍ، ومُعـــادي

وظلالُـــكِ امتدَّتْ بكـلِّ رَحابـــةٍ ... مَمنوحـــةٌ للطَّيـــرِ، والصَّيّـــادِ

وإذا هَـــوَى الحطّـابُ فيك بفأْسِه، ... سَكَبَتْ جُذُوعُـــك دفأَها لرُقـــادِ

هَذا هوَ الكَـــــرَمُ الَّذي يَسمُو إِلَى ... أَعلَى مَراتبِـــه، عَـنِ الأَحقـــادِ

كَم يَنعمُــونَ ويَنعمُــونَ، ولم تُبِنْ ... كَدَراً، فتـــلك سجيَّـةُ الأَجـــوادِ!

مَن ذا يَحُسُّ بذلك الوَجَـــعِ الَّذي ... خبَّأْتِـــهِ فـي قَطـــرةٍ، ووِهـادِ؟

•••••

يا جوفُ، يا أَرضَ العطــاءِ، ولا أَرَى ... عجبـــاً، فرملُك حضنُ أَكـــرمِ زَادِ

في غابـرِ التَّـــاريـــخِ رفَّتْ شَتلـــةٌ ... للخَيرِ، فابتَهَجَتْ قُرًى، وبَـــوَادي

وتَفايضَ اليَنبُـــوعُ يَغمرُ جَذرَهـا ... فَرحـــاً، بأَوَّلِ سَاعـةِ الميـــلادِ

وأَقام فِيها الطَّيــــرُ حَفلـةَ سَعدِه، ... يَسبِـي القُلُـــوبَ، بأَروعِ الإنشادِ

وتجمَّعـــتْ حتَّى الغُيُـــومُ تُظلُّهـا ... عن لَفحِ هَاجـــرةٍ، وجمـرِ صِلادِ

وتَدَاعتِ النَّسَمـــاتُ تُطلقُ لهوَهـا ... فالغُصنُ رَقصٌ، والحقـولُ نَوَادي

وزها النَّـــدَى مُذْ لاحَ أَوَّلُ طلعِها، ... وافتَرَّ ثغـــرُ الأُمنيـــاتِ الشَّادي

وكذا احتَوتْك الجَـوفُ فِيها حينما ... باركتِهــــا بالخيـرِ، والإمـــدادِ

واليــــومَ تَمتـدُّ البَساتينُ الَّتــي ... كـادتْ تُزاحِمُ هَيبـــةَ الأَبعـــادِ

فتَعطَّفـــي دلاً، وجُرِّي فِي المَـــدَى ... ثَوبَ اخضِرارِكِ، واهطُلي كغَوَادي

لحن أخضر

■ ملاك الخالدي *

هنا تمرحُ الأطيـــافُ تزهــو الخمائــلُ
وتشدو على أيـكٍ بســعـدٍ بلابـلُ
هنا تسرحُ الأحــلامُ تمضــي رطيبـــةً
فترسلهــا الأيــامُ شـعـراً يرتّـــلُ
هنا يـذرفُ الزيتـــونُ زيتــــاً كأنــهُ
دمــوعُ التلاقي بعد أن غابَ واصلُ
هنا في رحاب الجــوفِ تمضي عروقُــهُ
تضخُ دمـــاءً تحتويــهِ الجــــداولُ
فتنتعشُ الأرجـــاءُ تزجــــي عبيــرَها
شفـيـفـاً فـيتلوهُ المدى والسـنابـلُ
هنا أرقبُ الزيتـــــونَ عـطراً و رحمـةً
يعانـقُ أرجائـــي وحيـنـاً يـغــازلُ
يلـــوِّنُ وجـــهَ الأرضِ نــــور تبثُّـــهُ
وريقاتهُ الخضراءُ والحسـنُ هاطـلُ
تداعبـــهُ النسمـاتُ حـتــى كأنـهــا
تناغيـهِ حتى تستفـيـقَ الأصــائـلُ

* شاعرة من السعودية/الجوف

به أقسمَ الرحمــنُ في مُحــكم الهـدى
وأسرجـهُ خيــراً وفـيه الدلائــلُ

غـــــذاءٌ، دواءٌ مــا أقــول بــهِ ومـا
أعسجدُ شعــراً والمهيمنُ قائـــلُ؟!

هــنا في ترابــي قــد تـنـامى بريقـُهُ
وصافح وجـه القدسِ وهي تقاتلُ!

وطوّقهــا بالعـــزِّ والحــبِ المـنـــى
وأرسلَ غصنــاً ترتديـهِ المعاقـــلُ

فإن أسرجوا فوقَ الأيــادي شهيــدهمْ
سيشهدُ زيتــونٌ و تمضــي قـوافـلُ

هنـــالك للزيتـــونِ فخــر وقـصــةٌ
وفي الجوفِ للزيتونِ عزٌ يُطـــاولُ

فكم أطعمَ المحـــرومَ واستنطقَ الـثـرى
وكان ربيعـــاً حين تهـمي النـوازلُ

تخبـئـــهُ الأيـــامُ لحنــاً تجــودهُ
إذا أفصحـتْ بعد الرخاءِ القـواحلُ

لهُ في قلـــوبِ الناسِ عشقٌ و موئـــلٌ
كما غردتْ في كـلِ قلبٍ فضــائـلُ

فيـــا ربُ عسجــد أرضنَا - هذه التي
تناجيك - بالزيتـونِ ، إنيَّ سائـــلُ

لا تقل وحيداً

■ صالح الحسيني *

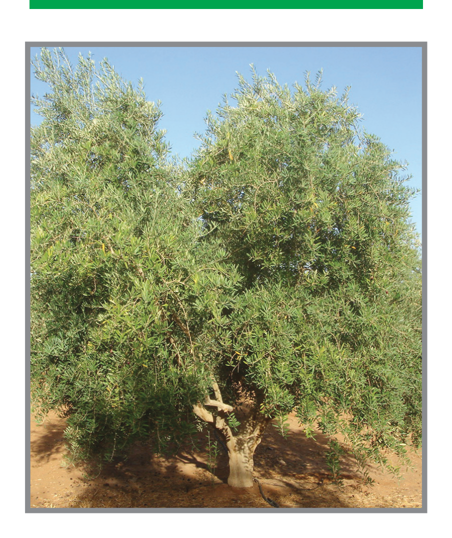
كومة من الأشياء العجيبة في هذا المخلوق الوحيد!
لأنني مُذ عرفته وهو وحيد يقطن قلب البلدة..
فَمهُ صغير ذو واجهة بنفسجيّة.
من أوّل كلمة تقولها لهُ؛ يوطيء رده عليك بضحكةٍ تتقطع آلياً؛ توافقها انحناءة فطرية لرأسه تغور معها عيناه.. خجلاً لا مُبرِرَ له.
عندما كُنت أزورهُ في المدرسة التي يحرِسها؛ بُعيد العصر غالباً.. يأتي ويفتح لي الباب.. أُقبّل رأسه تقديراً لسنّه.. علّمني أبي تقبيل رأس كل كبير سن..
مثلما بذر في نفسي تقبيل يد أمي كل يومٍ خمس مرات..
عندما أدخل..
أمشي خلفه..
يسحبني من يدي إلى حيث كان قبل طرقيَ الباب..
فنمضي هناك؛ حول شتلات زروع داخل أحواض ترابية عريضة يغمر بعضها الماء..
سألته: ما هذه الزرُوع يا عمي؟
فقال: هذه عشيرة الحياة بالنسبة لي..
أشعر بها.. وتشعُر بي..
هل ترى هذا الوارفة.. الممتدة الظلال.. هناك ؟
إنها شجرة الزيتون.. قضيت سنوات من الحياة - برحلتها الصامتة - تحت ظلالها.
اعتنيت بها؛ أقلمها وأضعُ لها السماد..
فتجود..
تُعطي من يُعطيها
ثماراً رطيبة وزيتاً

* قاص وناقد أدبي من السعودية

هي مؤنسي وملاذي حين تُصحّر الوحدةُ أعماقي..
أركن إليها، أحتضنها.. فتشُمني بعُمق..
لكأنها "أمي من بعد أمي".
على جذعها نقشت وأنقش الجميل من عبق الذكرى، وبراءات الطفولة، فتستجيب، لأنها المباركة..
أسماء أحبتي تطوق انحناءات هذا الجذع الصامد، الذي يخجل الشتاء لصموده..
شجرةٌ حين يحادثها الزمن؛ يجتر منها ما غفا في ذاكرته من أمجاد القدامى، ويستمر يحدثني عن أمه الخضراء كما يقول وفي كل مرةٍ يقول لي: اسحب آلة الري معي.. وافطن لإلتواءاته..
لنملأ بقيّة الأحواض.
صمتنا برهةً من وقت..
أطرق في صمته حتى أحسسته ينشج..
وحين ارتقى بنظرة صوب الوارفة تسلل إليه الأُنس؛ فأنسْتُ أنا بذلك..
ثم استفتحته بسؤالٍ جديد:
- كم عاماً وأنت هنا تحرُس هذا المكان؟
- أربعون عاماً يا بُني..
- أربعون عاماً!! وأنت وحيد فيه؟!
- لا تقل وحيداً.. مرةً أخرى!!
وكأنه صدى الزيتونة الوارفة هي من نَطَقَ.. وليس هو..
وقفت أتأملها وأتأمل الأحواض والأسوار وما حولي في فناء المدرسة الواسع..
وأرجعت سؤلي لنفسي؛ أبحث فيها عن إجابات لتأملاتها..
تُرى! كم لصًا هرب من اهتيابه طوال هذه السنين..؟!
رجلٌ طيّبٌ كالنباتات المُعمّرة..
يكفي أن يغضب فتنكشف أسنانه.. وفي نهاية طَرَفيّ مشطها العلوي..
هناك يقع نابان أشبه بحارسين عملاقين طويلين.. يحرسان قلعة عظيمة..
ويبقى السن الذهبي الأوحد الرابض في زاوية الفم.. عنواناً لقلبه.

تأملات في شجر الزيتون

■ يوسف مناوس المناوس *



لَو يَذكرُ الزَّيتُونُ غَارِسَهُ، لصَارَ الزَّيتُ دَمْعا.

هكذا احتَملَ محمودُ دَرويش ذَاتَ أَلَقٍ شعريٍّ بَهيٍّ، وأَنا هنا أَستعيدُ هذه الجَملةَ الشِّعريَّةَ المتلفِّعةَ بالحزنِ لأَتساءَلَ: هل للزَّيتونِ ذاكرةٌ حقًّا؟، وإذا كان كذلكَ هل تؤثِّرُ فيهِ مثلما تؤثِّرُ في رجلٍ مسنٍّ، فيعتصر أَلَمًا ودموعًا لعهودٍ مضت؟.

تلك الشَّجرةُ العَصيَّةُ عَلَى الاصفرار والذُّبولِ من بينِ سَائرِ الأَشجارِ، القادمةُ من أَعماقِ الدُّهورِ والرَّاحلةُ إلى أَبعادٍ أخرى بلا كَلَلٍ ولا مَلَلٍ، وكأَنَّها تحملُ حكمةً ما للمَارِّينَ بها، وتنشرُ رسالةً كَريمةً لهذه الأَرضِ ومَن يَسكنُها؛ حكمتُها في أَن نكونَ نافعينَ في هذه الحياة، فكما نأْخذُ من غيرنا، نبذلُ له أَحسنَ وأَفضلَ ما عندنا، ورسالتُها في أَن نُعمِّر هذهِ الحياةَ بالحبِّ

* كاتب من السعودية

والسَّلام والخَير، لتجدَ الطُّفولةُ والبراءةُ مكانًا آمنًا لها على هذه الأَرض، ولتُرفرفَ الفَرَاشاتُ والطُّيورُ في فَضَاءٍ لا يخونُ، ثمَّ يسيرُ نهرُ الحياةِ دونَ أَن يمتزجَ بالدِّماءِ والأَشلاءِ، فما أَنبلَ هذه الدُّروس، وما أَسماها!!.

لو كانَ لي أَن أَعرفَ لغةَ الأَشجار، لسأَلتُها عن آخرِ أَحلامها وأَمانيها، وعمَّا تخبِّئه من نَجَاوَى وأَسرار، لكنَّي أَبصرُ في جذوعها خطوطَ يدِ غارسِها، فأَقرأُ فيها ذاكَ الأَملَ الَّذي تحرَّك في فؤاده ساعةَ الغَرس، وأَسمعُ إيقاعَ الفَرحِ في خُطاهُ وهو يَجني ، وأَتوغَّلُ أَكثرَ لأَحسَّ بتدفُّقِ الحياةِ بين عَينَيه وهو يعصرُ الزَّيتونَ، كلُّ ذلك محفوظٌ في تعرُّجَاتِ الجذعِ الَّذي لا يبوحُ بها لأَحدٍ، ولكنَّه يستفزُّ المُخيِّلةَ عَلَى التَّكهُّن، فترحلُ وكأَنَّها تعيشُ تلكَ اللَّحظاتِ البكرَ لحظةً بلحظةٍ.

قيلَ بأَنَّكِ في الجنَّة كنتِ، لذا بقيَ فيكِ وأَنتِ في الأَرضِ شيءٌ من صفاتِ الجنان؛ عطاءٌ لا حدود له، وبقاءٌ كأَنَّهُ الخلود، لكلِّ جيلٍ يمرُّ بكِ غذاءٌ ممدودٌ، ولكلِّ مصباحٍ يأْتي إليكِ ضياءٌ ووَقُودٌ، فكلُّ مكانٍ أَنتِ فيه لا يعرفُ الجدبَ والظَّلامَ، وكلُّ زمانٍ يحتويكِ تَغمرينَه بالدِّفءِ والحبِّ والأَمان، أَلم تَبُثِّي في أَعماقِ نوحٍ عليه السلام، ومن كان معه على ظهرِ ذاك الفُلكِ المشحونِ فرحةَ النَّجاةِ والسَّلامةِ؟.

وماذا بعدُ أَيَّتها المباركة؟، ماذا بقي من حكاياتٍ ترويها لنا؟.
إنَّه ليؤلمكِ أن تري هذه الحروبَ الطَّاحنةَ، وأَنتِ رمزُ السَّلام، وما باليدِ حيلةٌ.!!

إنَّه ليحزنكِ أن تسمعي أَنَّاتِ الجياع، وعطاؤكِ يذهبُ في السَّبْي.!!
إنَّه ليوجعكِ أن تَشرَبي عَرَقَ الفَقَراءِ، ولا يضيءُ زيتُكِ لهم كوخًا.!!

ومع كلِّ هذه الغصَّات والآهات، لم يتغلغلْ فيكِ اليأْسُ يومًا، بل أَعطيتِ مثالاً في أَن نصنعَ الأَملَ ونستجيبَ للحياةِ، ولا نستسلمُ لليأْسِ باخضرارِكِ الَّذي لا يجفُّ، ولا يذبلُ.

مباركةٌ أينما كنت؛ في القدسِ، في الأردنِّ، في المغربِ، في تونسَ، في أسبانيا، في إيطاليا، في سوريا أو في الجوفِ..

نعم في الجوفِ.. في بلادي الَّتي شرَّفها الله بالحرمين، وتَشرَّفتْ بكِ غرسًا طيبًا مباركًا على مرِّ الأزمان.

تقول روايةُ الأَمس: إنَّ تاريخَ زراعة الزَّيتون في الجوفِ يعودُ إلى ملايينِ السِّنين، وهذا ما أكَّدته الدِّراساتُ الأَثريَّة الَّتي أَشارت إلى وجودِ أشجارٍ متحجِّرةٍ منه في أَماكنَ عدَّةٍ في المنطقة، إلا أنَّها مرَّت بفترةٍ منَ الرُّكودِ، حتَّى ازدهرت مِن جديدٍ قبل نصفِ قرنٍ تقريباً.

وتقول روايةُ اليوم: إنَّ الكثيرينَ لا يعرفونَ أَنَّ زيتَ الزَّيتونِ يُنتَجُ في منطقةِ الجوفِ بكمِّيَّاتٍ تجاريَّة، بل يُصدَّرُ إلى بلادٍ اشتهرت بإنتاجِهِ مثل إسبانيا.

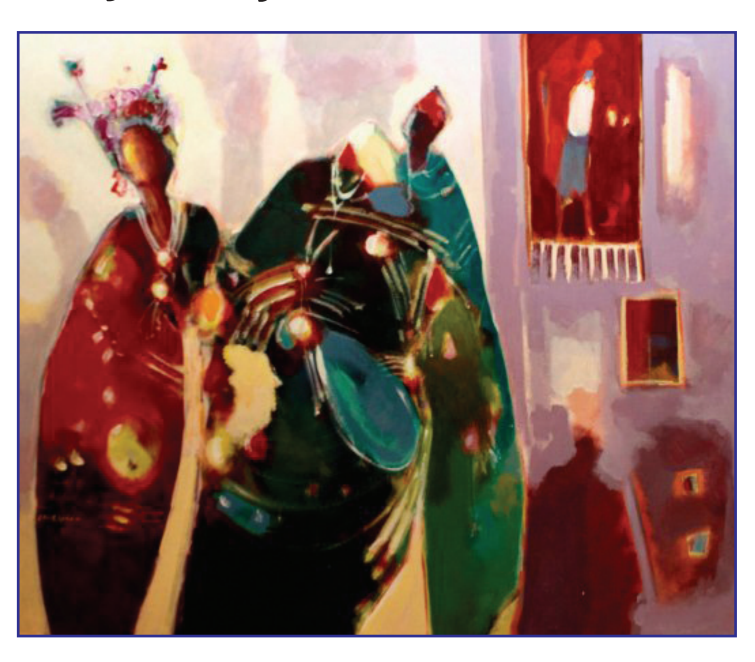
فأَرضُ الجوفِ ليست حديثةَ عهد بالزَّيتونِ، فحريٌّ بها مزاحمة دول كبرَى في إنتاجِهِ، فما بين الأَمسِ واليومِ علاقةٌ وطيدةٌ، ونسبٌ أَصيل.

الجوفُ والزَّيتونُ.. إنَّه اقترانُ العطاءِ بالعطاءِ، الجوفُ و اقترانُ الحلم بالنَّجاحِ، الجوفُ واقترانُ الهمَّةِ بالوصولِ.. وسيبقَى زيتونكِ يا جوفُ نوراً يغمرُ بقيَّةَ أَرجاء مملكتنا الغاليةِ، ويفيضُ عليها بالخيرِ والبركةِ، وليكنْ زيتُكِ نفطَ الشَّمالِ الأَخضرِ كما يحلو لأَهلكِ تسميته.

فما دام هناكَ حنوٌّ، وأكفٌّ تتعهَّدها بالرِّعاية، فلا خوف عليها، وما دام هناك ظلٌّ اسمه الأَميرُ فهدُ بنُ بدرِ بنِ عبدِالعزيزِ يحوطُها باهتمامِهِ ودعمِهِ المتواصلِ، فلا قلقَ يعتريها.

ويبقَى شجرُ الزَّيتونِ رمزَ الرَّجاءِ الَّذي لا ينتهي، لأَنَّه قبل أَن تموتَ الشَّجرةُ القديمةُ تكونُ قد أَنبتت مكانَها شجرةً جديدةً تتحوَّل إليها حياتها.

دراسات ونقد





قراءة لقصيدة "زيارة" لـ عبد الرزاق الواحد

■ دجلة أحمد السماوي *

ليوم القيامة يبقى السؤال
هو القدر المبـــرم اللايـرد
هل الموت في شكله المبهم
أم خــادم القــدر المبـرم

زيـــارة
من دون ميعاد
من دون أن تُقْلَقَ أولادي
اطرق عليَّ الباب
أكون في مكتبي
في معظم الأحيان
أجلسْ كأيِّ زائر
وسوفَ لا أسألُ
لا ماذا ولا منْ أينْ
وحينما تُبْصرُني مُغرورقَ العينينْ
خُذْ من يديَّ الكتابْ
أعدْهُ لو تسمحُ دونَ ضجَّةٍ للرفِّ
حيثُ كان
وعندما تخرجُ لا توقظْ ببيتي أحدا
لأن من أفجع ماتُبْصرُهُ العيونْ
وجوهَ أولادي حينَ يعلمونْ

لم تعد دلالة الزيارة في العراق أمس واليوم مدلولا للفرح والتَّواد! فهناك زيارات مرعبة كتلك التي تأتي دون موعد من زائر منتصف النهار، ومنتصف الليل، وزائر أول الفجر.. وهؤلاء الزوار معروفون جدا عند العراقيين! معروفون لدى العراقيين على مر العصور! دائما هناك نقيضان حلو ومر! فهناك الزائر المرعب والزائر الجميل! والزائر يأتي عادة على موعد معلوم! ولكن زائر عبد الرزاق عبد الواحد قد يأتي.. وقد لا يأتي. ولكنه يقينا آت يوما ما في ساعة ما! في مكان ماً يقرره هو! والسؤال الأول هل كان زائر عبد الرزاق عبد الواحد نبوءة مبكرة غير سارة للشاعر! أوهل كان زائر عبد

* ناقدة من العراق مقيمة في الولايات المتحدة الأمريكية

الرزاق نذيراً مبكراً لكلِّ العراقيين بعواقب وخيمة ظنوها جميلة كحلم الخلاص! قصيدة زيارة هي قصيدة صغيرة الحجم، كبيرة الموضوع، وهي مدوية وذات منحى مغاير تقريبا لتيار الرؤية في شعره! فعبد الرزاق عبد الواحد في كل شعره لا يطلب الرحمة من أحد، ولا ينشد الرأفة بنفسه، ولا يتودد لعدو، ولا يتوسل بضعفه لتحقيق شيء ما! هذا ما يقوله شعره. ولستُ معنية بما تقوله حياته! فأنا أدرس شعره بمعزل عن حياتِه وفق برنامج رولان بارت الذي يلغي تماما الربط بين التجربة الشعرية الفنية والتجربة الحياتية والاجتماعية للشاعر!

وهذا ما أحاول تنفيذه في دراسة قصيدة زيارة التي كتبها الشاعر منتصف تسعينيات القرن العشرين، وأوردها الشاعر علي الشلاه في واحدة من أهم اللقاءات بين عبد الواحد والشلاه! شعر عبد الواحد شعر الحيرة.. ابتداء من حيرة الحر الرياحي مرورا بقصيدة الحسين وانتهاء بكتاب المراثي! ولكن قصيدة "زيارة" تقع خارج منطقة المألوف لدى الشاعر! لأن الزيارة التي لم تحدث كانت خارج فضاء التوقع، وبعيدا عن صور الزيارات في الموروث الجمعي! وإذا أردت تحليل هذه القصيدة فكيف أبدأ؟ وإذا بدأت فكيف سأخرج دون أن اعتسف النص الشعري أو دراستي أو القارىء؟.

ثمة موقف فلسفي بلا شك في النظرة إلى الحياة والموت في آن واحد، فمن خلال دراستي لقصيدة الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد استطعت أن أرى عبد الرزاق من الداخل، واكتشف في الوقت نفسه زوايا ومساحات كان يعتم عليها قبل قصيدة "زيارة"! وبما أن الشاعر عبد الواحد مفجوع دائماً برحيل الأعزاء والأحباء، فهو يتميز بقصائد المراثي، ويعتبر صاحب مدرسة متميزة فيها!.

سئل شاعر جاهلي لماذا يكون الرثاء عندكم صادقا وجميلا ولا يكون كذلك في الأغراض الأخرى؟ فأجاب على الفور: لأننا نكتب المراثي وقلوبنا تحترق!! المراثي هم شعري.. بات غرضا شعريا عربيا، لكثرة المراثي التي يصوغها الشعراء المفجوعون وفق منظومة الوفاء والحب للأصدقاء الذين فارقوا الحياة.

تتكون قصيدة "زيارة" للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد من أربعة عشر سطرا، ونسجت على بحر الرجز من حيث الشكل: مندونمي ● عادي. مستفعلن فاعل! والمضمون قائم على مفارقة وجودية ولا وجودية معاً، فالشاعر يشعرنا أنه قادر على أن يخترق المألوف من خلال اللامألوف في قصيدته (زيارة) التي جاءت سمفونية حزينة تشي بالوجع الأزلي للبشرية

جمعاء، وميدان ذلك الصراع من أجل البقاء وديمومة الحياة! وكما ان جلجامش بحث عن الخلود في أقاصي الأرض لعله يعثر على إكسير الخلود والحياة الأبدية، فان الشاعر يريد أن يقول لنفسه وحتى لملك الموت: لا تنس أنني شاعر، وفي جسدي شيء من عشبة الخلود! نعم قالت صاحبة ألحان سيدوري لجلجامش: إن الحياة التي تريد.. لاتوجد على الأرض، وإن الموت هو قدر البشرية الذي لا فكاك منه ! إن الشاعر – مهما كانت رؤيته العبثية للحياة والموت – خائف لا محالة من الموت!

قال الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد:

أرى العمــر كنزا ناقصــا كل ليلة
ومـا تنقص الأيــام والدهــر ينفدُ

لقد أصاب طرفة.. فللموت حضور أبدي في النفوس قويها وضعيفها! ألم يقل "هيدغر" (إن الإنسان وجد ليموت)!!! هذه التساؤلات اللامتناهية تحاصرنا حيث ما كنا من مساحة نص زيارة!

من دون ميعاد
من دون أن تُقْلِقَ أولادي

نلاحظ تكرار حرف الجر مرتين، ودوّن مرتين بما يفضي إلى تشكيل الصور الاستعارية المشبه به الحاضر هو ميعاد.. والمشبه الغائب هو الزيارة! من أجل أن يظل الأولاد خارج اللعبة البيانية، وخارج فضاء الموت !!.

وهكذا يستمد النص طاقته التعبيرية من تعاضد ألفاظه المتــزجــة باللوعــة والفجيعـة مستثمرة إيحاءات فعل الأمر، وهو ليس أمرا وإنما هو توسل وخضوع!

أطرق علي الباب

تعني.. أرجوك وأتوسل إليك لو تطرق علي الباب، ففعل الأمر هنا هو فعل مأمور.. والفاعل هو المفعول! ودليل ذلك أن الشاعر يدل ملك الموت على مكان جلوسه المعتاد، وذلك شيء من رشوة اضطر إليها الشاعر!

أكون في مكتبتي في معظم الأحيان

وتتلبث المحمولات اللفظية منتظمة في حلقة سياق الموضوع الذي يعبر عن وحدة القصيدة، وتسلسل أحداثهـا الدراميـة التي تفصح عن الصور الحسية (البصرية)، بامتزاج مشاعر القلق والإحساس القاتل بالوحشة وعدم الأمان، لتكون مَلْمَحَا بارزا في النص، منفردا في المكتب، وإيعاز الطارق متهيئا للحظة موت الكينونة وعنفوانها، وخفقان القلب الحديدي، وضياع الأماني المغروسة في الروح.. ثم تحوك مخيلة الشاعر عميلة الإسقاط التي وقعت على (المكتب في معظم الأحيان). هناك لاشعور جمعي عبر عنه نص "زيارة" بهيئة الشعور الفردي، وأعني

الرهبة من الموت! نفسية الشاعر المتعبة أثَّرت فيَّ وتأثَّرت به أيضا ضمن تسلسل الحكي السارد في القصة الشعرية! وتنسج مخيلة الشاعر حوارية غير مباشرة تضمن للمخاطب مساحة مفترضة، فهو الأتي الوهمي الذي يخترق الأشياء والأجسام الحية، فيميت ديمومة الرغبة، وتكون الحياة هي العنصر الأول بعد عنصر الموت في تكوين الضدية المولدة لجدلية النص الشعري. وقصيدة "زيارة" نموذج تفصيلي لآليات (المسكوت عنه) في النص الشعري! فهي أوحت وباحت.. ولكنها لم تقل كل شيء، فقد تركت مساحة للمتلقي كي يعيد إنتاج المشاهد أو يخرجها وفق تجربته! لنلاحظ مثلا أن النص لم يخاطب الزائر ابتداء، وإنما افترض أننا عبرنا الحاجة إلى المنادى وأداة النداء، لكي نتواصل مباشرة مع العذاب مستثمرين حرية المتلقي في ملء فراغات المسكوت عنه ! ثم تخيم على أجواء القصيدة إشارات مهمة أو (Points).

ماذا.. ولا.. من.. أين!! مثل عدسة خارقة ترصد كل صغيرة وكبيرة في النص؛ حين تحوِّل الكلمات والصياغات إلى صور فنية حسية! مثل أدوات الاستفهام وحروف الجر والتكرار والعطف، لتشكل من خلال تتالي الصور، الصورة الكلية أو الغرض الأكبر للنص! خراب وتشويه وانكسارات.. فهل نحن نشاهد جورنيكا جديدة للخراب والدمار؟ عبد الواحد يحب أن يتفرد.. وهذه طريقته المعتادة، يتفرد في الخيبة كما في الحلم.. يتفرد في الوحشة كما مع الصديقة.. كما يتفرد في الموت! عبد الواحد شاعر المراثي بامتياز، فقد نسج المراثي، ووصف الحالات التي تمتزج بالواقع واللاواقع المتزامن بالآتي..

وحينما تبصرني مغرورق العينين

ويبهرني الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد حين يجعل الصور الحسية صورا مجردة، ثم يصيغ الصور المجردة صورا حسية! في موازنة بين أطراف نص "زيارة" نادرة الحدوث! وثمة نرى صورتين حسيتين متصادمتين مع صورتين معنويتين من أجل أن يتعمق لون الحزن المنتظر المستنتج من (مغرورق العينين)! وبوعي حاد منه يوقظ جراح الحياة من خلال أسئلة الموت المخبوءة في الكتاب!

ليوم القيامة يبقى السؤال
هل الموت في شكله المبهم
هو القدر المبـرم اللايـرد
ام خـادم القـدر المبرم

الجراح هي الجراح! والكتاب هو كل شيء.. فكيف يسرق الموت روحا مطلسما أو ممتزجا بالكتاب؟ من إنسان أمضى حياته

بين الكتاب والجراح؟

خُذْ من يديْ الكتابْ

وتزامن المتن الشعري مع وحدة القصيدة في البيت الرابع عشربصورة مباشرة، ولكنها تختزل كل عناءات الفعل الشعري!!:

خُذْ من يديْ الكتابْ

وتنثال الصورة الاستعارية التصريحية - المشبه به الكتاب، والمشبه هو الحياة التي استحالت كتابا! خذ من يدي الكتاب.. وجه لقول مسكوت عنه هو: خذ من يدي الحياة! وماذا بعدها؟ بعدها مايدلنا على فوبيا المجهول، المهيمنة على النفس البشرية. ولا يدعي مدع انه بمنجاة من فوبيا المجهول، فالشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى يعترف بفوبيا المجهول القادم مع الغد:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عمي

الشاعر موجود حيث الكتاب والجمال والحياة! والقاسم المشترك بين الشاعر والمكتب والأجواءالساخنة هو فوبيا المجهول القادم.. ولو جاء بهيئة زائر!!:

أعِدْهُ لو تسمحُ دونَ ضجَّةٍ للرفِّ
حَيثُ كان

أهمّ علامة نحتاج إليها هي - لو تسمح - ولغة عبد الرزاق لغة بدوية مجلجلة، قلما نجد فيها خضوعا مثل "لو تسمح"! وهو - أي الشاعر- يعرف سلفا أن ملكا لن يسمح ولن يعيد الكتاب الى موضعه.. ولكنها التراجيديا التي تستعذب العذاب والبكاء! هذه الحوارية تومىء إلى حالتين من الحوار الفني الدايالوك والمنولوك.. يمران عبر حالتي اليأس والتفرد في صراع دائم بين الحياة والموت! وهذه الثنائية المتمترسة خلف ملكوت المجهول تفصل بين الروح والجسد! الوحدة والجمع في عمق يلون المجهول والظلمة الموحشتين، وتأكيد الدراما دون ضجة للرف.. وبوعي من الشاعرفي ملاعبة الألفاظ! ولكن هل مرت الزيارة الفاجعة في شعر عبد الرزاق عبد الواحد من خلال كتاب المراثي؟.

دعــوة لكي نطل معا على مرثية عبد الرزاق عبد الواحد التي كتبها في صديقه الأسطوري حسين مردان.. لكي نكتشف أن الشاعر ما كان يرثي حسين مردان.. بل كان يرثي نفسه! لذلك أسقط عليه الكثير من الهموم التي ما كانت عبثيةَ حسين مردان تلتفت إليها! من الضروري جدا الاطلاع على هذه المرثية لكي نعرف أن موت حسين مردان وآخرين مهد السبيل إلى قصيدة "زيارة".. فكأنه يقول: جاء دورك يا ابن عبد الواحد، فحول فوبيا الموت والمجهول إلى عمل شعري جميل.

التأمل الفكري عند الهذليين

أبو ذؤيب الهذلي أنموذجاً

■ د. إبراهيم الدهون *



تنتسب قبيلة الهذليين إلى مضر، وقد عاشت وما تزال أفخاذها وعائلاتها يعيشسون في المنطقة الواقعة ما بين مكّة والطائف.. ومنهم بني لحياني والمطارفة وغيرهم.

قبيلة لها أهميتها في التاريخ العربي القديم، فمنذ العصر الجاهلي برز منها ما يقرب من الثلاثين شاعراً كأبي ذؤيب الهذلي، وساعدة بن جؤية، وأبي صخر الهذلي، وأبي كبير الهذلي، ومليح بن حكم وآخرين.. ولعل أبا ذؤيب الهذلي يأتي في مقدمة هؤلاء الشعراء.

تميّز شعرهم بالعديد من السمات الفنية والظواهر الأسلوبية والبلاغية التي ارتقت بالنجاح الشعري لديهم، والذي تبرز أهميته من خلال اهتمام العلماء قديماً، والباحثين حديثاً بنتاجهم الشعري، ومن نماذجهم الشعرية ما نقرأه في التأمل الفكري عند أبي ذؤيب الهذلي في قصيدته التي مطلعها:

تالله يبقَى على الأيام مُبتقلٌ
جَونُ السَّراة رباَعٌ سَنّهُ غرِدُ

تقف قصيدته مرثية الوجود" على ثلاث لوحات شعريّة إبداعية، أطّر فيها أبو ذؤيب الهذلي لمساته وإبداعاته، ورؤاه الفكرية والفلسفية تجاه الوجود والحياة، ثلاثية عكست رؤية الشاعر العربي القديم عامة، والهذلي خاصة نحو الزمن والقدر، ماهيته وفاعليته، وبطش أظفاره، التي ينشبها بين الفينة والأخرى في جسد الكائن البشري، ومظاهر الطبيعة معاً. محوّلاً الجمال والاستقرار إلى اضطراب وقلق، والأنجاد إلى أغوار، قوة دفعت الشَّاعر القديم إلى المجابهة، وإعداد الأدوات القتالية رمزا وواقعا، فنلحظ الحسّ الأنثوي والصوت الأسري، والتكاثر البشري للوقوف بوجه الجدب والجفاف اللذين تركهما الزمن على البشرية، ونجد الثور والحمار الوحشيين صامدين أمام الصائد (الزمن) لأجل الحياة والبقاء، كما نقرأ الحركة والتنقل للنهوض والتغيير أمام الجمود والصراع

* ناقد من الأردن، مقيم في الجوف

والعراك الذي ربّما يقود صوب الاستسلام والخنوع.

وتُعدّ هذه المرثية" الدالية" ذؤابية النظم والفكرة، رثائية المعنى والدلالة، مفعمة بجوّ الحزن والأسى والحسرة المبطنة، مُلئت بالحشرجة والآهات التي تئن بها نفس أبي ذؤيب، دالية راوحت وقاربت بين الفرح والسرور اللذين سعى جاهدا لتحقيقهما ، فثابر و كافح من أجلهما، لكن هيهات هيهات أن تحقق له ذلك، فالقدرية والحتمية لسيطرة وتسلطية الزمن تحول بين المرء ومطالبه.

أما القصيدة فقد تشكلت بثلاث لوحات رائعة اللّغة والأسلوب والدلالة والمضمون، فالأولى كانت لوحة حمار الوحش ومجتمعه الأسري، لتأتي بعدها لوحة ثور الوحش بجماله ونشوته وسروره الذي يعيش فيه، ثمّ ينهيها بلوحة" الصائد" وكلابه التي تعكس مصير اللوحتين السابقتين أمام هذا الدخيل والعدو المترصد لحيوية وجمال الحياة، ورغد الخصب والنماء عندهما. وتحاول هذه القراءة الاستعانة بالمنهج الأسلوبي خاصة، والنظرة التكاملية عامة لدخول كوامن النصّ، وسبر أغواره، وما يخدم الفكرة العامة للنص، كأسلوبية التراكيب اللغوية، وظواهر التعبير الشعرية، والصور الفنية التي دخلت نسيج النص الشعري، ونقلته من طور النثرية واللغة العادية إلى مصاف الإبداع الشعري، وحيوية الخطاب الشعري؛ ليكون -بعدئذ- خادماً لفكرة الشاعر الحائرة.

لوحة حمار الوحش

تاللــهِ يبقَـى علـى الأيــام مُبتقلٌ
جَــونُ السَّراة ربَــاعٌ سنّــهُ غـرِدُ

في عانـــةٍ بجُـنُوبِ السِّيّ مشربُهـا
غـــورٌ ومصدرُهـا عن مائهـا نُجُدُ

قضـــى لُبانتَـــه بالليــلِ ثــم إذا
أضحـــى تيمَّـمَ حَزْمَـاً حولـه جَرَدُ

فامتــدَّ فيه كما أرسى الطِّرافَ بدو
داة القـــرارِ سقبُ البيــتِ والوتــدُ

مُستقبِــلَ الريح تجري فوقَ مَنسجه
إذا يُـــراحُ اقشعرَّ الكشحُ والعَضُـــدُ

يَرمي الغُيــــوبَ بعينيـه ومَطرفُـهُ
مُغضٍ كما كسفَ المُستأخذُ الرّمِـدُ

فاختـــارَ بعد تمــام الظّمأ ناجيـةً
مثلَ الهـــراوةِ ثنيـــاً بكرُهـــا أبِدُ

إذا أرنَّ عليهـــا طـــارداً نزقــــت
فالفوتُ إنْ فاتَ هادي الصّدْرِ والكتَدُ

يبدأ الهذلي قصيدته بالقسم" تالله" قاصداً: والله لا يبقى على الأيام مبتقل، فهو يعلن فيها فكرة الوجود، ولعله يؤطر ويسجل لأزمة قد بدأها شعراء كثيرون، وهو واحد منهم نحو قول أبي الخراش:

ولا يبقى على الحدثــان علـــجٌ
بكلٍّ فـــلاة ظاهــرة يــرود

وقول أسامة بن الحارث:

فواللــه لا يبقى على حدثـــانه

طريد بأوطان العلايـة فــارد

وقول قيس بن العيزرارة:

والدّهر لا يبقــى على حدثـانـه

بقرٌ بناصفــة الجواء ركــودُ

لعلّ هذا العرف أو السنّة التي انتهجها شاعرنا تدلّ على أن الهذليين، قد انشغلوا بفكرة أرّقتهم وحفّزتهم إلى هذا التكرار الواضح، وهي فكرة المصير الحتمي الذي يجلبه الزمن.

لقد لجأ أبو ذؤيب للقسم في بداية القصيدة لمعرفته بما يتركه القسم على نفسية السامع من دلالات معنوية وصوتية، فقد رصد فكرة القيمة التي سحبته نحو القسم، وهي العظمة، وعلو الشأن للموقف، ممّا جعله يسلك تلك الطريق.علاوة على ما للقسم من تأجيج وتفعيل لنفسية المتلقي، وهذا يتمّ من خلال الإيقاع الصوتي أو النبرة الصوتية للتركيب اللغوي، ودورها في الإيقاظ والالتفات لهول الموقف وأهميته. وإذا كان القسم صاحب دور وفحوى وإضاءة للبعيد.. فإنَّ الإعلان الذي صرّح به أبو ذؤيب قد تمّ بصورة كاملة لصدر البيت الأول من القصيدة(تاللهِ يبقَى على الأيام مُبتقلٌ..)، أي والله لا يبقى أمام الزمنَ كائن حيّ. ويسحب أبو ذؤيب الفكرة آنذاك على النصّ ككل، حتى إنّه يعطف صورة الثور الوحشي على حتمية حمار الوحش بقوله:(ولا شَبُوبٌ من الثيرانِ أفردَهُ..).

بيدِ أنَّ أبا ذؤيب يقرّر حقيقة ومصير المبتقل: (حمار الوحش الذي يأكل البقل)، ويرتع في السهول، ويتناول حشائش الأرض، لكنه أدرك أنَّ الحمار والثور والحيوان معادل موضوعي للإنسان، ولما يلاقيه من عناء، وكآبة ومآسٍ داخل حياته، التي ستؤول يوماً للفناء والجدب والقحط والهدم والخراب.

ومن هنا ينطلق أبو ذؤيب الهذلي بالمراوحة بين ثنائية الخصب والجفاف، والقوة والانكسار، والعلو والسقوط، ليسقط الثنائية على الألفاظ ولوحاته.. كي يخدم النَّصّ ونظرته صوب حتمية المصير، وقدرة الزمن.

فالإنسان محبّ ومغردٌ للحياة، وكأنّ الشاعر ينطلق بالمبتقل ليكشف صورة الإنسان أمام الزمن وصروفه، فحمار الوحش مغرّد، صاحب نشوة وطرب، ويشدو بألحان عذبة، يحمل صفات جمع فيها بين الإنسان والطير معاً، فمثلاً لفظة (سنّهُ) تعكس صورة البسمة للإنسان، وتحمل طياتها عبارات السرور والفرح لتنسجم مع لفظة (غرد)، وارتفاع نغمة السعادة على مظاهر الطبيعة، إنها سعادة شاملة وكاملة، أثرت وأسبغت الدلالة على الطبيعة ككل، ولفظة: (مبتقل) مكثفة الدلالة ومشبعة بفحوى المعنى، إذ أنها محمّلة بالخضرة والنماء، لتعكس ابتسامة الإنسان وتغريد العصفور.

وهو يركّب البداية بشطرين يترصد أحدهما الآخر، فقسمه بأن الدهر والزمن اللذين نستخرجهما من (الأيام) لا يبقيان على أحد، وأثرهما في الدمار والخراب، ثمّ يأتي العجز مبشراً بالبحث الدؤوب عن السعادة والنماء والخصب.

ثمّ يدلل بثنائية اللغة والموقف اللذين رسمهما أبو ذؤيب، وتوظيفه لمفردات تحمل ثنائية الدلالة والمعنى ك (الجون: الأبيض والأسود) ليطالع المتلقي بياض يد الزمن تارة، وسوداويته وسلبيته التي تسقط على الإنسان تارة أخرى.

وتتضح تلك الإشارات والإضاءات بتتبع دقيق للأبيات اللاحقة لمقطوعة حمار الوحش، حيث تنسجم وتتكامل الرؤية بتسلسل وترابط الأحداث، فحمار الوحش يغرّد فرحاً، ويمرح في خصب الأرض شرقاً وغرباً، ثمّ يتوحد مع جماعة الأتن: (عانة). فينزل الشاعر بعدئذ من صوته الفردي ليندمج ويتماهى مع الجماعة(العانة)؛ لتأكل وتشرب معاً، ثمّ تنخفض (غورٌ) وترتفع مرة أخرى، ليحاول أبو ذؤيب إبراز الصوت الجماعي في مجابهة الصراع البشري قاطبة، والكفاح المرير والعراك المتين مع فاعلية وتأثير الزمن، وسهامه التي قد تصيب المرء في لحظة ما.

إذاً، يتوجه حمار الوحش مع جماعة الأتن التي تعيش حياة جماعية، تؤدي فيها دورها، ترتاد الماء لتشرب، وترعى الكلأ، وتسعد بالتكاثر والنماء والخصب، متناغمة كأسرة واحدة، كأنها مقطوعة موسيقية اتحدت ألحانها معاً، لترمز لنواة الأسرة الإنسانية، وما تفعله كمجموعة مكونة من الأب والأم والأولاد في خفة العيش ورغد الحياة، لكن قد يتخلل هذه الحياة أحياناً مصائب وأهوال دون سابق إنذار أو موعد معلن.

ونلحظ ذلك بقوله (يقضي لبانته) المحملة بدلالات الإنسانية والوظيفة التي يحملها الأب بالحياة تجاه أسرته، ولعل استخدام التشخيص يساعد على رسم الصورة البعيدة، ورفض المباشرة البسيطة التي تحملها اللغة العادية.فالحمار يشكّل الدور الأساسي للأسرة، حيث له وظيفة يؤديها ليلاً ..ثمّ يستمرّ في العطاء نهاراً (يقضي لبانته بالليل)، فيكون بمثابة المعطي والمقدّم ليلاً لمتطلبات الحياة اليومية للأسرة، بينما نلحظ الحسّ الرقابي والتفحص الشديد تحسباً من أي هول أو عدو دخيل (أضحى تيمَّمَ حَزْمَاً حوله جَرَدُ..).

ثمّ يستمر الشاعر في الرسم الدقيق لحياة وصور حمار الوحشي متكئاً على الرابط اللغوي حرف العطف: (الفاء) بقوله: (فامتدّ) ليدلل ويبرهن الجهد والوظيفة التي يقوم بها ذلك الحمار في الصمود والصراع والكفاح الأسري أمام الزمن الكاسر ولحظات القسوة منه.

وربّما شرع أبو ذؤيب الهذلي يستعين

بمفردات الصلابة والقوة والرسوخ، ليعزز موقفه من الزمن لقوله: (أرسى، سقب..) وهي مفردات مفعمة، ومشربة لدلالات الثبات والرسوخ. فقد كشف هذا البيت بما فيه من مفردات التتابع الدقيق لرسم البنية الفنية للمشهد الذي أخرجه الشاعر، نحو: (امتدّ) تنصيب الحمار نفسه، ثمّ: (أرسى) الدخول والتثبيت كـ (السقب) عمود البيت المتجذر بـ (الوتد).

إنَّ الشاعر يقيم علاقة متينة بين الإنسان والحيوان، ليخرج بلوحة الهناء والاستقرار التي يعيشها حمار الوحش في ظلّ أسرته، وداخل إطار مجتمعه الحيواني الآمن، وتنصيبه لنفسه رقيباً وحسيباً لأي طارئة أو جائلة أو مهلكة قد تحلّ بهم، لهذا نجده يقف على أعلى منطقة مكانية، ثمّ يلتفت يمنة ويسرة، وهذا يعكس رؤية الشاعر العربي القديم الذي يعيش داخل الأسرة والجماعة البشرية في انسجام وتآلف وتآزر ووئام، لكنّه معرض لسهام ووحشية الزمن الفتاكة والنفاذة للوجود دون استئذان.

وما زال أبو ذؤيب يؤجّج ويرفع شأن حمار الوحش بثباته وتجلده أمام حركية الزمن وفاعليته بقوله:

مُستقَبِلَ الريحِ تجري فوقَ مَنسجِه
إذا يُراحُ اقشعرَّ الكشحُ والعَضُدُ

إنّ لفظة: (مستقبل) تحمل قيمة عظيمة من جهتين: الأولى دلالية تتمثل في الاستقبال وعدم التردد والخوف، بل المقابلة وجهاً لوجه أمام (الريح) العاتية لبذور التاثير والخطر. أمّا الجهة الثانية فهي نحوية الدلالة تتمثل في استناد الشاعر على (الحال) ليرصد ويسرد صلابة وتحمل جسم حمار الوحش، بلا تفكير أو تردد أمام الأزمات، وما فتيء حمار الوحش صامداً، متشبثاً أمام الريح، التي أخذت تجري كأنّها الماء فوق منسجه، حتى تنكسر في الشطر حدّة الإيقاع الصوتي والدلالي معاً.

فالإيقاع الصوتي جاء قوياً مكثفاً، مشبعاً بمعاني الأنفة والصمود والرسوخ في صدر البيت: (مستقبل الريح..)، بيدا أن العجز خفت وتلاشت نبرة الحدة والقوة فيه، بل نلمح الخشوع، والانحسار، وربّما القشعريرة والارتعاد لهول الموقف وجسامة الأمر، فإنّ (الاستقبال) يقابله (الروع).. كما أنَّ (الصمود) يقابله (الانسحاب).

ضدية، تغلفت نصّ أبي ذؤيب، وجعلته يئن بالألم الذي يرتقب الشقاوة، فالثبات ينتظر الانسحاب، والارتفاع يبحث عن السقوط، أمام صفعات الزمن وأظفاره ومصائبه التي قد تقع في أي وقت على المرء. وهذا ما لم تشر إليه " نورة شملان" في دراستها:(أبو ذؤيب حياته وشعره)، حيث وقفت عند حدود اللفظ الخارجي دون المحاولة في الدخول إلى بواطن اللفظ، أو البحث عن الهمّ الجماعي، والبعد الآخر الذي يؤرق

الشاعر، منذ البداية حتّى النهاية كما هو الحال في البيت الآتي:

يَرمي الغُيوبَ بعينيــه ومَطرفُهُ
مُغضٍ كما كسفَ المُستأخذُ الرّمِدُ

لقد استوقفنا هذا البيت لما له من غاية بعيدة،ودلالة قوية، ورابطة متماسكة مع ما يخدم الفكرة الرئيسة للشاعر الهذلي عامة وأبي ذؤيب خاصة، فإنّه يؤجج الفكرة، ويعلنها أمام بني جلدته، ويصرح على مسمع الجميع، مبدأ الخوف المحيط، وإيجاد الحذر الملازم له.

لهذا، فإن مبدأ الخوف والرعب لم يتبدد، ولن يتلاشى من قلب الحمار وأتنه، فهو ما برح يرقب ويترصد المرعى، بكل عناية واهتمام وحذر وتوجس، حتى غدا كأنه شبح مرعب وسط الليل وسواده، يتحمل البرد الشديد، والريح العاتية، يناظر ما حوله، حماية لنفسه وجماعته من الأعداء.

ثمّ ترتفع حدّة الخوف والذعر باستخدامه تركيب:(يرمي الغيوب)، لما له من عمومية المعنى وتكثيف الدلالة، حيث تكمن النظرة تجاه شيء، أو قل خصماً لم تتكامل صورته أمامه، فالترقب والمواجهة تنصهران في لفظة: (الغيوب)، وفي ذلك دلالة العمومية والشمولية والقوة معاً.

وعلاوة على ذلك، كان النظر بالعينين والطرف: (بعينيه، مطرفه) لشدّة الأمر، وحاجته لدفع الخطر، وإحساسه بالقلق؛ لهذا بذل حمار الوحش كل ما لديه من صبر ومجاهدة ومكافحة وقوة لمراقبة العدو، حتى أمسى يعاني من ألم في عينيه لكثرة المراقبة والتحسس، كرجل أصابه الرمد، فتخرج تجربة حمار الوحش بعد ذلك تصرّح بفكرة المجابهة والكفاح والمعاناة معاً، وليس الاستكانة أو الاستسلام أو الخنوع.

من هنا يعلن حسّه الجماعي وانتماءه إلى أتن ترتبط بدلالة القوة والجمود والحيوية والنماء والخصب والولادة في قوله: (ثنياً بكرها أبد)، إنّه يورد البكر ولد الأتان ليرمز إلى فكرة الحياة النامية والنشاط والتجدد لا الجمود أو التوقف. فالاتحاد مع أتان سريعة (ناجية)، توحي بالمشاركة والتفاعل والانسجام والتناسق في الهمّ الجماعي والكفاح والمواجهة والصراع الدائم مع الزمن.

وتنتهي اللوحة بقوله: (أرن) فعل يحمل بطياته: (الصوت الإيقاعي) الذي يفيد الزجر والتنبيه، وإشعاعاً بفحوى الخطر والمصيبة القادمة، جرس الموت أو الخطر المشؤوم، وكأنّ أبا ذؤيب عندما يقول: (أرن) يربط هذا البيت بالبداية المتمثلة بـ (تاللهِ يبقَى على الأيام مُبتقلٌ..) حيث يوحي الرنين والصدَى بهذه الفكرة، وهو رنين الموت وصداه، حتّى إنّه يسترجعه ويسقطه ليس عليه فحسب، بل على أتانه أيضا.

فتفكير الشّاعر القديم كان منصبّاً

بشكل مباشر في البحث عن حياة مستقرّة هانئة، والبحث أيضا عن ذاته ووجوده، فقد عرف بأن حياته لا شك فانية ، لهذا لجأ للحيوان، فأصبح ينطق بذاته، ووجد أن حيوان الطبيعة صورة خصبة لتصوير فكره ونفسه.

فأبو ذؤيب لم ينهِ حياة حمار الوحش مباشرة، بل ربطها مع حياة ثور الوحش؛ ليبرر التوحد العام، والانسجام المصيري الواحد، لمواجهة الخطر العظيم، فالذاتية تذوب في الجماعة للصمود والكفاح الجماعي، فالخطر واحد، والكل أصبح خصما له.

لوحة الثور الوحشي

ولا شَبُـــوبٌ من الثيـرانِ أفــــردَهُ
عن كورهِ كَثْرةُ الإغراءِ والطَّرَدُ
من وحشِ حوضٍ يُراعي الصَّيـدَ مُبتقلاً
كأنّهُ كوكـبٌ في الجوِّ مُنْجَـردُ
في ربــــرب يَــلَقٍ حـورٍ مـدامعُهـا
كأنَّهــنَّ بجنبي حربــةَ البَرَدُ
أمسى وأمسيـن لا يخشينَ بــائجـــةً
إلاّ الضَّواري في أعناقِهـا القددُ
وكــــنَّ بالرَّوضِ لا يُرغَمْنَ واحـدةً
مِنْ عيشهِنّ ولا يدرينَ كيفَ غَدُ

إنّ العطف بقوله: (ولا شبوب) الذي بدأ به أبو ذؤيب يعطينا مدى التكامل والوحدة والترابط بين أجزاء القصيدة، فقد عطف حياة الثور الوحشي على المصير الحتمي في بداية القصيدة لتغدو هكذا:

(تالله يبقَى على الأيـامِ مُبتقلٌ
ولا شَبُوبٌ من الثيرانِ أفردَه)

فاستخدامه حرف: (الواو) الذي يفيد الجمع والمشاركة، ليثبت المصير الحتمي العام، الذي يسيطر ويحكم حياة الحمار والثور الوحشيين وجماعتهما ويضعهما في بوتقة واحدة.

ويكثّف الشاعر بعد ذلك صوره الشعريّة، فتبدو غارقة في الأخيلة والدلالة والمعنى في لوحة الثور، فيبدأ بمشهد الأنس والطمأنينة، ورغد الحياة التي تخامر البقر، ويسرد أبو ذؤيب صفات الجمال والأنس والرونق والأناقة على جماعة البقر التي أمسى الثور بينها، مع الإشارة إلى نسبة اللهو والغبطة للبقر لا للثور، لاسيما صيغ الأفعال المسندة لنون النسوة ممّا يثبت انشغال واندماج جماعة البقر بالحياة العابثة واللهو والمجون في قوله: (أمسين، يخشين، يرغمن، يدرين). أمّا هيئة الثور من خلال قوله: (يراعي الصيد) وبعد ذلك (لا يخشى إلا الضواري) فقد كانت تعبّر، وتبيّن حالة الفزع والذعر، وهاجس القلق والاضطراب من تلك الضواري الكاسرة، إذ إنّها تبحث عن فرصة سانحة تبلغ هدفها المنشود، وتجد ضالتها بشيء بسيط، ولو ببقرة واحدة تسدّ رمقها الدموي، وتحقّق غايتها،. فالقدر يتربص بالثور وبقره معاً، ويلازم الوجود، فالنهار يسير بشيء من

السعادة والالتئام، لكن الاختلاف ظاهر إذا جنّ الليل بقوله: (أمسى، وأمسين). إنّ أبا ذؤيب يفرّق بين صورتين وشقين في آن واحد، فأمسى لم يدمجها مع جماعة البقر بكلمة: (أمسين) لإدراكه البون الشاسع ما بين حالة الثور القلقة وجماعة البقر الهادئة، الضاربة في فنون اللهو ورغد العيش.

وعلى أية حال، الهمّ واحد وجماعي أيضاً، لكن أبا ذؤيب يرفع الثور، ليضفي ويسقط عليه ملامح أسطورية في قوله: (كأنّه كوكب) و(أفراده). وربّما ليتوافق مع محورية ومركزية الفكرة، فالموت يحوم ويطرق الأبواب من كلّ جهة، وهو متربص بالثور وبقره، لذا يتطلب بطلاً مثالياً ليدفعه، ويردّ صولاته وجولاته، فالسمات والإيحاءات التي ألبسها أبو ذؤيب جاءت ممهدة وتقديماً للمعركة الحاسمة، والنتيجة النهائية ما بين الثور الصائد وكلابه.

لوحة الصائد وكلابه

حتّى استبـانتْ مع الإصبــاح راميَها
كأنّــهُ فــي حواشي ثَوبه صُـرَدُ
فسمعـــتْ نبـــأةً منـــه وآسَدَهـــا
كأنّهـــنَّ لـــدى أنسائه البُـرَدُ
حتّى إذا أدركَ الرَّامـــي وقدْ عرسَتْ
عنهُ الكلابُ فأعْطاها الذي يَعِدُ
غادرَها وهي تَكْبُـــو تحـــت كَلْكَله
يكسو النُّحورَ بوردٍ خلفَـهُ الزَّبَدُ
حتّـــى إذا أمكنَتــه كــان حينئـــذ
حُرّاً صَبُوراً فنعمَ الصَّابرُ النَّجِدُ

وثمة إعلان للصراع المرير، الذي سوف يخوضه الثور مع الصائد وكلابه، بدأ أبو ذؤيب يصرّح بالعراك، والكفاح وعناء المشقة والعنت الذي يلف الإنسان في هذه الحياة، ومكابدة الزمن، الذي يفتك بالمرء بين الفينة والأخرى.

لهذا، كان أبو ذؤيب قد جمع بين السمع والبصر لإبراز هول الصائد بقوله: (استبانت) فهي الرؤية والبصر،ليعطف بعد ذلك بالسماع (فسمعت).. ليؤكد مدى ديمومة القلق والهواجس التي تخامر مجموعة البقر نتيجة اقتراب الصائد المعادل الموضوعي للزمن وأثره على الشاعر الجاهلي قديماً، وسرعان ما كان يفزع منه، ويبذل قصارى جهده للحدّ منه، ولكنّ هيهات أن يتحقق ما يصبو إليه.

ولم يقف أبو ذؤيب عند هذا الحدّ لصورة الرامي وكلابه من جرأة وشراسة فحسب، بل طفق يراوح ما بين أداة التشبيه (كأنّ) مرتين، مرّة لهيئة الصائد (كأنّه جرد)، يصف سرعته التي تشبه الطائر في خفته وتضاؤله، وربّما ندرك الغمز الذؤابي بالبطش السريع للزمن، وعدم التردد. ومرّة أخرى لملازمة الكلاب للصائد: (كأنّهنَّ لدى أنسائِهِ البُرَدُ..)، فأبو ذؤيب يشبّه تصادق هذه الكلاب للصائد

واحتكاكها بالبقر الوحشي بعرق النساء، وهو إيحاء وإشارة للملازمة والاقتران من قبل الزمن للإنسان والبشرية، لينتقل بعد ذلك إلى تفرّد الثور بقوله:

حتّى إذا أدركَ الرَّامـــي وقدْ عرسَتْ
عنهُ الكلابُ فأعْطاها الذي يَعِدُ

تظهر هنا صورة الثور جلية، إذ ينفرد عن بقره؛ لكي يواجه الكلاب، ويدخل معها في صراع عنيف وقوي، تُراق فيه الدماء، وتكسر فيه الأطراف، وتسقط الكلاب تحت صدره وتتعثر، ويتكيء أبو ذؤيب عندئذ على ظاهرة التضمين العروضي ليستقيم المعنى والدلالة في قوله: (غادرها) فيكتمل المعنى في البيت الذي يليه، إذ صارع هذا الثور الكلاب بعد أن أرسلها (الرامي)، فتأتي كلمة غادرها توحي بحالة يُرثى لها لهيئة الكلاب، وهي تسقط، وتتعثر وباتت تهذي وتئن لقوة الخصم.

حرّي آنذاك بالهذلي أن يخلد هذا الانتصار الآني، والمؤقت، وتقليد هذا البطل العابر: (الثور النبيل).. صاحب البطولة والشجاعة والسؤدد وسام المدح والثناء والرفعة، في قوله:

حتّـــى إذا أمكنَتـــه كـان حينئـــذ
حُرّاً صَبُوراً فنعمَ الصَّابرُ النَّجِدُ

يستند أبو ذؤيب الهذلي على تكرار الحرف: (حتّى) الذي يفيد انتهاء الغاية، ليتواءم مع فكرة القصيدة في نهاية البطل الشجاع إلى منصة الترقية والتقدير، وتأكيده بالارتباط الوثيق بالسابق والالتحام الكلي للقصيدة.

ورغم مّا حققه الثور من انتصار على كلاب الصائد، يظلّ ذلك الانتصار آنياً، وتبقى المواجهة قائمة والمعركة متواصلة، إنه همّ وقلق واضطراب الشَّاعر الجاهلي نحو الحياة والموت، وفاعلية الزمن، وحتمية المصير المنتظر، لهذا فإنّ حركية القدر علقت لدى الشاعر العربي القديم، فانبرى يحلّلها، ثمّ شرع يفسّرها حتى أخذ يعكسها على الحيوان والطبيعة والوجود، وأخفى ذاته خلفها، فأصبحت ناطقة بذاته ووجوده، فالثور والحمار الوحشيان رمزان لصورة الإنسان في عراكه وصراعه المريرين للحياة.. وما فيها من عناء وضنك ومشقة، وعسر وتضييق، فطفق يكدح ويكافح لهدف البقاء والاستمرارية، يسخر كلّ ما يملك ليرتفع، لكن سرعان ما يسقط، ويغدو في ذاكرة الماضي أمام مصيره المنتظر.

كذلك الحال بالنسبة للصائد وكلابه، ما هي إلا رموز وإشارات للزمن وما يحتويه من ضراوة وقساوة على نفسية الشاعر العربي القديم، إنّه يمثل العدو اللدود، فيهرب عنه العربي بعيداً؛ ليسلم من شروره.

■ وقفة مع بلاغة القصيدة

إنّ المَطْلعَ أو الاستهلالَ مهم في بناء القصيدة، إذ يشكّل عادة المحور الأساسي

الذي تدور حوله القصيدة. لهذا يمثّل المطلع القسمي لدى أبي ذؤيب: (تاللهِ يبقَى على الأيامِ مُبتقلٌ..) القوة المهيمنة، والشرارة التيَ تمتلك خاصية التغيير والتحوير والتحويل معاً، فالقسم يحمل دلالة العظمة للموقف، وأي عظمة يكون فيها المقسوم به الخالق - عزّ وجل - ودلالة التنبيه واليقظة والاستفاقة، وإلباس النصّ ثوب الانفعال والتوثب للتفكير بالأمر.

ثمّ يأتي التكرار أسلوبا جلياً في النص الذؤابي ليخدم النصّ، ويقدّمه نحو الارتقاء والفنية الإبداعية، وذلك عن طريق تعدد دوال الزمن ومشتقاته كـ (الأيام، الليل، الضحى، والإصباح)، إذ تكثّف الألفاظ الزمنية دلالة المركزية أو المحورية التي غرسها الشاعر، ويسترجع كلّ هذا في مقطوعة تشكّلت منها القصيدة، ممّا يلفت انتباه القاريء بأن الصورة التي يرسمها الشاعر للزمن ما زالت تجول بخاطره، وتُؤجج لديه مشاعر الأسى والألم.

ومن الأساليب البلاغية عند الهذلي ظاهرة المراوحة بين استخدام الأفعال والأسماء، وتوظيفها بما يتناسب ويتلاءم مع دلالة اللفظ. فإنّه عندما يسرد صفات الحمار والثور يلجأ إلى الأسماء؛ لتضفي وتدلل ثبات ذلك الثور أو الحمار، وعدم تغيره أمام قسوة الظروف، وفاعلية الزمن، نحو: (مستقبل الريح، مغضٍ، كوكب، منحرد، حراً، صبوراً).

بيد أنّه يوظّف الجملة الفعلية حينما يسرد أفعال الثور والحمار في مجتمعنا؛ ليؤكد دورهما نحو الأهل والوجود، بفعاليتهما، وعدم الاستكانة أو الخضوع، بل نراهما دائمي الحركة والنشاط والحيوية، دائبي التقديم والعطاء، إنّهما موصلان بالمواجهة والمقابلة للأهوال، نحو: (يقضي لبانته، يرمي الغيوب، يراعي الصيد، غادرها، يكسو النحور).

ويبلغ الإبداع البلاغي قمته عند أبي ذؤيب بالموازنة بحرف التشبيه: (كأنّ) بين الثور الوحشي والبقر الوحشي بقوله:

كأنّه كوكب (الثور).. كأنّهن بجنبي حربه البرد (البقر الوحشي).

وهذا ما نجده في صورة الصيّاد مع كلابه حين يقول:

كأنه في حواشي ثوبه(الصيّاد).. كأنّهن لدى أنسابه البرد(الكلاب).

ممّا يثبت لنا أنّ أبا ذؤيب يقيم توازناً بين لوحة الثور الوحشي، ولوحة الصراع مع الكلاب وصائدها، هذا من جانب، ومن جانب أخر.. لعلّه بإضفائه القوة والبطش والسَّرعة الفائقة التي يتمتع بها الصائد، تجعل المرء يتصور البأس الذي يمتاز به الصياد، ممّا يعكس قوة الفتك على الثور عند المواجهة.

ونلمح أيضا سمة أسلوبية تبدّت لدى أبي ذؤيب الهذلي، تمثّلت في جانب التكرار التركيبي الابتدائي لثلاثة أبيات في لوحة المواجهة، هي:

حتّى استبانتْ

حتّى إذا أدركَ

حتّى إذا أمكنَته

وهذه البدايات اتكأت جميعها على الحرف: (حتّى) الذي أشرنا إلى معناه سابقاً - انتهاء الغاية، حيث يرشد القاريء للربط مع المحورية التي توصله إلى النتيجة والغاية المنشودة التي سعى إلى تحقيقها، فكرة الوجود والثبات والاستقرار والأمن، غاية التحدي والسيطرة على زمام الأمور، فتكرار (حتى) لافت للانتباه، بأنْ جعله الهذلي في البداية، إنّه إصرار وتجميع للقوى على المواجهة.

هكذا تبدو القصيدة متكاملة، وقطعة فسيفسائية، قد شكّلها أبو ذؤيب الهذلي على البحر البسيط: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن..) لتتلاءم بطول نفس الهذلي، والرؤية الشّعرية، واتساع البحر البسيط للتراكيب الشعرية، وفق رؤية محددة، وفكرة واحدة، أخذ ينظم المقطوعات ضمن تلك الرؤية، وشرع يوظّف التراكيب النحوية، والأشكال البلاغية لخدمتها والنهوض بها نحو الارتقاء والعلو.

فالمقطوعات الثلاث توحدت وتناغمت لتكون قصيدة ونسيجاً جميلاً، يغزوه التناسب، ويألفه التقارب، حتى بات كلٌّ مترابطاً لا يمكن فصل جزء عن آخر، أو إسقاط بيت من لوحة ترسم الحقيقة الفكرية والفلسفة الوجودية التي أطّرها وبثها أبو ذؤيب داخل شخصية الثور والحمار الوحشيين، اللذين جعلهما ناطقين ومتفاعلين بالحدث. فصراع الحيوان والطبيعة مع الوجود، وتحمله مظاهر العناء والمشقة والمكابدة، والقسوة والضنك، التي تجعلنا نحسّ أنّ ما فيها ليس إلا رموزاً وبعداً آخر لصورة الإنسان البشري وعراكه وصراعه لفاعلية الزمن، كما يراها الشاعر العربي القديم.

فأبو ذؤيب نجح شكلا ومضمونا، شكلاً قدّم مرثية امتزجت فيها قوة اللفظ والتراكيب والصنعة الشعرية، والإبداع الفني للصورة الشعرية مع المضمون الدلالي، وفحوى الخطاب والفكرة الجوهرية لعقلية الشاعر العربي القديم برثائه للوجود البشري الذي سيؤول إلى الفناء أمام سلطة وفاعلية صلدة، وهي هيمنة الزمن والدهر على الإنسان.



قراءة في قصيدة "قلب من الغابة"

الشاعر يدافع عن موته..



■ سامي البدري *

هل بعد اصطفاء الغرف من موت؟
إنه الانتظار الصغير، الفاغم والموارب، لرعب اللحظة المنفلة من عقال الأنا.. مثل هذا المدخل لوجع شاعر (وهو هنا محمود عبدو على وجه التخصيص) يضعنا في مواجهة مباشرة مع مسقطات اللغة (حبورها) إذ تُعتّم بسوط الإرجاء..
هل يبحث الشاعر عن موته أم عن شفراته؟ أعتقد أن الإجابة ستكون مغالاة بحد ذاتها، وخاصة إذا ما قصدنا بهذا البحث التأسيس الرمزي بأدوات اللغة.. وهل يملك الشاعر غير لغته؟ ولكي نحمي ماء حوض مشاكس؟! هكذا بدأت مدونة الشعر، كما يتفق جميع الشعراء: التأسيس الرمزي لوجع اللغة.. ومن هنا ينمو الوجع الأزرق ممتلئاً على كتف الشاعر، كما يقول شاعرنا عبدو.

إنه جدل قاني، يمتلك أدواته، ولهذا لا يمكن حصره في خانة التطلع؛ وهذا ما عكف على اشتراطه، محمود عبدو، على فجاءات النص كعتبة للدخول: قلب من الغابة/ موت صغير على مقاس الانتظار.. وترك الباب خلفه ومضى.. هل سنتلمس ملامح هذا الباب من دون صرير جدليته القانية التي تشير إليها عتبته؟ علينا أن نشير أن الغابة - كرمز ودال - مسكون بها الشاعر من دون أن يسكنها.. ولن يبرحها حتى بموته، لأنها أحد رموز شكله الضروري!

لماذا يبدأ الموت (الصغير)؟

الإجابة البدهية تقول لوجع

* ناقد من العراق

الانتظار.. ولكن هل يكفي هذا لانتظار شاعر على ناصية الاشتراطات غير المعنونة؟ الشاعر يقول في (تثاؤب الشهور النحيلة)؟ نعم! وهذا فضحٌ لبداهة الأشياء لا تأطير رمزي لها، لأن النص مضى إلى رموزه من لحظة شروعه بحصافة حكيم هرم! هذا ما تقوله حكمة الغرف الملقاة على قارعة الأحلام والانتظار، في قلب الغابة وعلى أسيجة حضورها.. كرمز طبعا.

غرفتي وصمت الغابة وقشّ الأخشاب

تشتري معنا المساء بأرواح مشغولة

بخيوط الانتظار

وحرير نهد يشعل سيجارة الوقت

في ثانية

وهكذا هو الأمر من لحظة تلمس ملامحنا في مرآة الذات: حرير النهد الذي يشعل سيجارة الوقت في ثانية ويقلب الصوت إلى صدى!

ولكن هذا لم يكن اختياراً؟ إلى متى سننتظر رجع صدى هذه الصرخة... قبل سماع الإجابة عليها؟!

وثمة غرفة وعاشق انتظار وقرنفلة!

أين؟ في الغابة التي أثث الشاعر أشجارها بوطر الحضور؟ وخارج حدود هذا الانتظار.. انتظار الشاعر؟

الشاعر يقول: ليس ثمة غير (بذخ الأزقة فيّ).. كم قدم تدور حول نفسها، في الأزقة، وبأي اتجاه؟ أعرف أنه سؤال يستعجل حضوره؛ ولكني الآن في غرفة الشاعر ومسكونٌ بانتظاراتها! وهذه بداهة أكثر مما تكون تطلعا. علينا أن نتذكر أننا في حضرة شطط الشعر والشعر مجاز لسؤال.

تمضغ نصبك الناشف

في ليالي كانت الغرفة مليئة

بالانتظارات الصامتة..

وبيّ

أنا المشبع بالذبح!

وهذا ما يؤسس لموت ويجعل منه تطلعا (بالمقصد الفلسفي للكلمة)..، فالغابة لم تكن صامتة تماما، ولم تكن بعيدة عن مرآة وجوهنا..، وهذه بداهة تسكن وشوشاتها؛ والنّاص، كبني إسرائيل، لا يصبر على فضحٍ واحد لهذه البداهة إذ يقول:

موتي صغيرٌ على هذا الانتظار الكبير

وهذا ليس تسليماً ولا خياراً توريطياً بل اقتراح يدافع عن تطلعه إذ (تشتدّ مراسم النافذة).

تقول غجريّة مرّت لتوّها:
الألوان التي اكتشفتها هنا
بلا أسماء..
والموتُ طفلٌ رضيعٌ لألوانٍ دون أسماء
الوحيدُ الذّي حمل نعش عاشقٍ
قلبهُ من الغابة .

فنياً (في روح الشعر) ومدياته الإزاحية في مفاعيل العملية التمثيلية لتهجيات أصابعنا للوح حكايتنا التي نتنازع إعادة كتابة فصولها وإعادة صقلها، لابد هنا – في لحظة النص هذه – من مرور غجرية عرافة (أو ما يماثلها فنياً) لتضع نقطة ما على مفترق ما من عطفة الحكاية.. وفي هذه اللحظة من زمن الحكاية لا زمن نص (محمود عبدو) تمر بتهجياتنا لتقول:

الألوان التي اكتشفتها هنا
بلا أسماء...
والموتُ طفلٌ رضيعٌ لألوانٍ دون أسماء
الوحيدُ الذّي حمل نعش عاشقٍ
قلبهُ من الغابة .

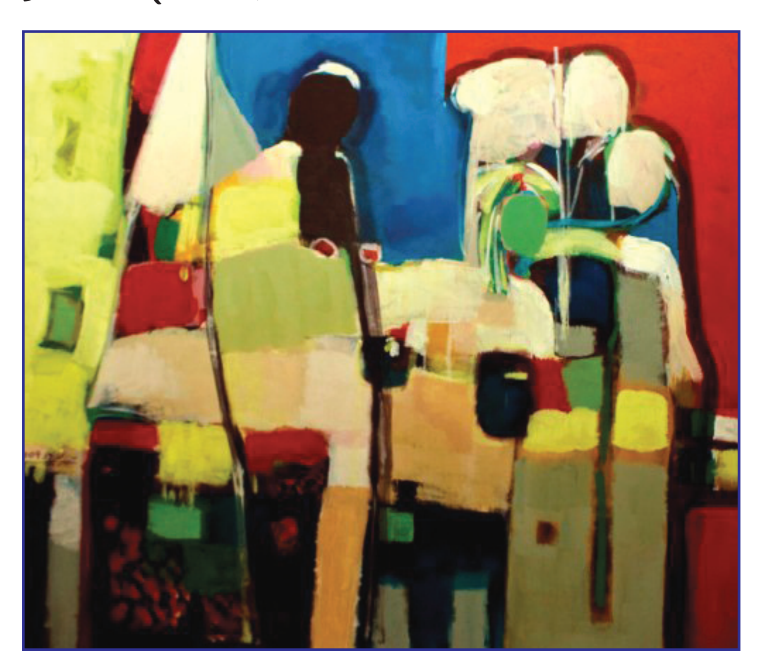
وهذه النقطة – نقطة الغجرية – لا تعني الدوران حول النفس والتشبث بخط أفقٍ كان في مدى النظر، إنما هي إشارة استفزازية للانقلاب على خط الشروع والقفز على ظلاله التي تترصدنا كعشب السراب! الدفاع عن موتنا يعني أننا نقول كنا هنا: في مضارب الفعل وتحت سمائه ورتقنا خرقاً في قميصها!

هل فعلنا و(الوحيد الذي حمل نعش عاشق قلبهُ من الغابة)؟!
نعم كنا هنا!!

تحت سماء الغابة التي شيعت انتظاراتنا... وأنها لم تكن دثاراً فقط.. هل يمثل هذا اعترافا بأن سماءها كانت دثاراً؟ هل كنا بحاجة لمثل هذا الدثار لنعترف بحقوقه؟

لنقول إنها كانت:
تشتري معنا المساء بأرواحٍ مشغولةٍ
بخيوط الانتظار
ولكننا كنا ندافع موتنا؟؟!

إبداع: شعر



بمناسبة تأسيس النادي الأدبي بالجوف وما تعرض له من دسائس إبان نشأته، نظمت هذه القصيدة التي تضمنت ترحيباً بولادته، وتنديداً بذوي النفوس المريضة التي أخذ منها الحسد مأخذاً دفعهم لأن يقولوا ما أخرجهم عن الاعتدال وصرفهم عن قول الحق..

النادي..



■ عيد بن نعيم السهو *

يـا أيهـا النـادي الوليـدُ تحيـةً
يا خيـر من قَدِمَ البـلاد وليدا
إنـا لنفـرح إذ نـراك حقيـقـةً
أصبحت مـوجوداً وكنت فقيـدا
بالجـوف نفخـر يـوم تشمخ بيننـا
صرحاً يُشيِّد للعلـوم جديـدا
لكـنَّ حساداً رمـوك بظلمهـم
حادوا عن القول الصواب بعيدا
هَمّـوا بشيء لـم تنلـه رمـاحهم
كيـد الحسود فلا يكون رشيـدا
واستخدموا (التركي) لنشر مقالهم
كـالببغـاء مـردِّداً ومعيـدا
ظنـوك فـي الميـدان دون معاضـدِ
ظنـوا بأنك في الصراع وحيدا
لكنهـم وجـدوا المـواقـف صلبـةً
في حين كنت مقاوماً وعنيـدا
رامـوا بـذلـك غايـةً بنفـوسهـم
وكفى بربـك نـاصراً وعضيـدا

* شاعر من السعودية

ظلم النفـــوس وقـــد تبين أنهـــم
كانوا لأهــواء النفوس عبيــدا
ضلــت دسائسهم فمــا نالــــوا بهـــا
غير الوبال وقد جنوه حصيــدا
أضحــوا وقد خسروا المعــارك فانثنوا
يبدون عــذراً أرسلــوه نشيـــدا
جاءوا إلـــيك ليعلنـــوك رجــوعهم
عوداً نراه إلى الصواب حميـــدا
فلتبــق رغم الحـــاسديـــن منـــارةً
منها تبثُ معارفـــاً وقصيـــــدا
تبقـــى برغـــم المغرضيــن ركيــــزةً
للقاصديــن مُوجها وعميــــدا
حققت في الأدب الرفيــع مطالبـــــاً
منك العطـــاء مميزاً وفريــدا
تُعطي الدليـل على الحقائــق واقعـــاً
إذ كنت نبعــاً نافعــاً ومُفيـــدا
أصبحـــــت نبــــراساً يَبثُّ معارفـــاً
بالوافديــنَ مُرحِّبــاً وسعيـــدا
شادوا بـــدوركَ والجهــــودُ شواهـــدُ
فيما مضى ونروم منك مزيــدا
نرجـــوك صفحـــاً عن مزلة مذنـــب
مــا كنت إلا ساميــاً ومجيــدا
الصفـــــح عنـــــد ذوي المروءة سُنـــّةٌ
لو كـــان صفحاً مؤلماً وشديــدا
والصفــــحُ عند ذوي الكمـــال مبـرةٌ
والبر أفضل مايكــون رصيـــدا

شعر

صوت تائه..

■ علي قوادري *

مـَـــنّي فـــؤاديَ حسناء الــورى منـــي
إنــــــّي شُغفْتُ بلحْـظٍ جـامحٍ.. إنّـــي
يقتــــادني عبث الأزمـــــان فـي شجـنٍ
يــنتابني شـوق حِبّـــي من لظى البينِ
فـَـــأَنْحُتُ الشعر من صمــت العنا لغــةً
طيــري أيا لغـــــتي غنّـــي المنى غنّي!
كيــــــما تسائـــل رمشا فاتَنِـــي ثَمِـــلاً
لا حـــول لي ضاع رشـدي سارحا عنّـــي
بــــين الصدود وهجْـــرٍ بـــات من سنني
بيـــن الشـرود الذي يعــدو على سنّي
فـــــليتني ربـــّة الحسن التي بِدَمِـــي
أنســــــاك أنساك يـومـــا صادق الظنّ
يـــــرتاح خفـــق فـــؤادٍ من خواطرهـــا
إنّـــي تعبـت مـــن الأضغـــاث والـغبن

عــــــانقتُ فيك الهــوى أوتــار عازفـــة
زفـــــّت لـــواعج قلبٍ حالـــم اللّحـــن
غــــنّتْ على شرفـــات المشتهى وجعـــي
تسْــــقينـــه وَلَــهي ملآنـــة الـــدّن
يا لـــــــيتهـــا تحتسي في لحظـــةٍ ظمئي
ويكـــــــتوي نبضهـــا نـــار الصبا تفني

* شاعر من الجزائر

أهـــــيم يــا ملكــوت اللـــه معتنقا
صـــبابـة الـوامق الساري مع الجــنّ
أهـــيم فوق صعيـــد جلتـــه زُبـُـرًاُ
وبـــين قاسيــــةٍ.. ريحــــانـة الشأنِ
أهيـــم في رهـــق يـــــغتالني أسفي
وأرتمــــي كمـــــــداً لا من يُلَمْلِمْني
حِـــنّي لصهـــوة وجدٍ يا مجافيتـــي
يازلــــــتي.. بإلـــه السلو والمـــنّ!
حِــنّي!! عساه ربيــع الزهو في وهنــي
يســـبي برعشة نــومٍ هامة الجـــفن
فــــيا المعـــانق سرّ النحت في قـــدري
ســـــرّ الولـــوج على إشراقة الدفن
فـــــسّرْ رؤاي علـــى رمـــلٍ وفي سحبي
وامــــلأ كفوف ارتعاشي إثرها دعـْني
كـــــسيل ذكرى أخطّ المــــاء مرتجفـا
ســــأترك الطيف مهلاً لا تـــذكّرْنـي

أرتـــــاد في وحدتـــي أشلاء سوْسنـة
أنْشـــــدْتها يا جـروح الأمـس لي إنِّ!
فـــــبعد شهدي خلايـــا الحبّ خالية
لا فـــــلْك يعصمنـا لا نخلة نجــني
أدعــــوك يا ألله في جهلـي وفي نسكي
نــــــوّرْ دروبــي وبالإيمان هـدْهِدْنـي
أدعـــوك يا ألـلـه في بعثي وفي وصبـي
خـــــفّفْ عذابـي وبالقـرآن طهّرني



تعسر الصبر..

■ د. محمد عامر مظاهري *

يا مَن سلَبْتَ عُيونَنا طَعْمَ الكَرى

وتَركتَهـا عَمياء غيـرَكَ لا تَـرى

وأضأتَ شَمْعـاً في دُجَى يَأساتِنَا

وبَعثْتَنـا بَعْثاً جديـداً في الوَرى

ووَهبْـتَ نفْسي يـا شِفاءَ غَليلِها

- بَعـد التَّحَسُّر- نِعْمةً لَن تُكْفَـرَ

وسَقَيتَنـي كـأسَ المَوَدّةِ والهَـوى

فَكَأنّنـي فـي جَنَّةٍ مِمّـا اعْتَرى

يَقتادُنـــي فَـرَحٌ إذا مـا جِئتُكُمْ

وأرى السُّرُورَ - إذا أعُـودُ - تَقَهقَرَ

ولَئنْ مَددتَ إلَـى يـدَيّ يدَيكُمُ

سَكَنَ الفُــؤادُ بِلَمْسِـها واسْتبشَرَ

يـــا جَنّتـي وهِدايَتي ممّـا عَدا

بيني وبينـكَ قد يكونُ وقد جَـرى

هَلاّ أزَلْتَ حَواجِـزَ الحَسَراتِ من

دَرْبي ، فَصَبْري اليومَ عَنكَ تَعَسَّرَ

* أستاذ مساعد بجامعة الجوف

قصائد..



■ عيد الحجيلي *

شعر

"غرق"

بين جَزْرٍ يجيء
ومدٍّ يفوتْ
يتحرّى التماع الرؤى
باسطاً حرفَهُ
غارقاً
في صلاة السكوتْ

"مشابهة"

للرغيفْ
سَحْنةُ القيدِ
لونُ
الحيادِ العسيفْ !!

"إبانة"

قاموسُ فتنتها
عميقْ
لكأنّها
إن أَقْبَلَتْ
أو أَدْبَرَتْ
تَضع النِّقاطَ
على الحريقْ!!

"نبوءة"

في سرير أحابيلها
المحكمات
يشيمُ مَخايلَ
نومٍ عميقْ !!

"حُدَاء"

حينما مسّهمْ نَصَبُ الجوعِ
في وعْثاء المتاهْ

قيلَ .. تحتَ سماء الحروف
مَقامٌ لكمْ ..
ولكمْ في المجاز حياهْ !!

* شاعر من السعودية



شرفات الترقب..

■ ياسين عدنان *

سأشمر عن فرس

سأُشمِّر عن فرسٍ
يتوغلُ في كبدي
سأبوح له بحشائش عمري
سأطعمه
مايصُدُّ قوائمه عن سفوحي
سأتركه يتفتت
بين ضلوعي
فتدق طبول دمي
دقةً واحدهْ
احتفاءً به
وهو يهوي إلى قعرها
نُدفاً باردهْ

قد يكون هناك

ابحثوا عنه في قلبه
قد يكون هناك
قابعاً
مثل مقهى قديمْ
لفظته الكراسي
وما عاد يصلح للثرثرهْ
ابحثوا عنه

* شاعر من المغرب

في صمته المستديمْ
ربما.. بين صلصلة الكلمات
ورحابة خلوته.. تتمدد أشعاره قنطرهْ

سنفتش عن وجهه

سنفتش في الأفْقِ عن وجههِ
سنفتش عن وجهه
في القمرْ
ربما وهو يعبُرُنا
نحو شطٍّ صبابته
ربما وهو يقطعُ خاصِرَةَ الليل
نحو براري يديه
تذكر صورتَها وهي تبكي
تذكر بسْمتَها
والبلادَ المُقيمةَ في محجريها
تذكَّرَ لوعتَها والعتابْ
ففكر فيها.. وفكر فينا
وكفكف أحزانَهُ.. ثم غابْ.

دونما موعد

لم يعد ممكناً
أن أجرِّد سِربَ الدقائق
من صخب الإستباقْ
ساعةُ الحائط
انهمرتْ.. نحو بئرِ المواقيت دقَّاتُها،
والتي خلَّفَتْ عند شطِّ الفؤاد
مواعيدَها.. وابتساماتها
ستُعرِّجُ يوماً على خلوتي
دونما موعدٍ سابق
للعناقْ.

شعر

ليلة أرق..

■ علي بن حسن الحارثي *

رَحَـلَ النَّـــومُ وأبقـى داخِـلَ العينِ فُلُولَـــهْ
واستَطَـالَ الليـلُ حتى مَلَّتِ الأنجُمُ طُولَـــهْ
وأنـا أعْلِـكُ صَـمْتِـي ورُبى القلبِ محِيلــهْ
مـــا أرى وُرْقَ يَمـــامٍ لا ولم أسمعْ هديلَـــهْ
عِندما يغـــدو الأسى بابـاً فما أقسى دخُولَـــهْ
ما أمَرَّ القهـــرَ في ثغر الذي يهوى البُطولَـــهْ
مـات في معركـــةِ اليـأسِ ومـــارَوَّى غليلَـــهْ

••••

أيها الليـــلُ الدَّجُوجِيُّ الذي أرخـــى سُدُولَـــهْ
أنـت غــاوٍ فـــي فضـاءِ الكــونِ لم يلقَ دليلَـــهْ
أم غيُــورٌ من بيــاضِ الصُّبحِ كي تُخفي حُلولَـهْ

* شاعر من السعودية

شِبْـتَ يا ليــلُ ولكـن لِمَ أخْفَيـتَ الكُهولَـــهْ؟!

ما انبـــلاجُ الصُّبحِ إلا بسمةُ الكونِ الخَجولهْ

غيرَ أنِّي فــي ذُهــولٍ فيَدُ النّـــُورِ بخيلَـــهْ

ويَـــدُ الأحــــزانِ كم تبطِـشُ بالنَّفسِ العليلَــــهْ

نخـلــةُ الآمـــالِ قـد أَوْدَتْ ولم تُنتِـــجْ فسيلَـــهْ

سقطــتْ بعـد شُمـوخٍ بيَدِ اليـــأسِ قتيلَـــهْ

• • • •

لاحَ لـــي الفجــــرُ ولَمَّا يسحبِ الليـلُ ذيولَهْ

غيــرَ أن النُّـــورَ في عَيْنَـــيَّ قـد ضَـــلَّ سبيلَـــهْ

بعدَ هجــرِ النَّــومِ للأجفـــانِ قَدْ ســاق رسولَــــهْ

وأتى مــــا كنــتُ أرجُـــوهُ وأستجـدي حُصُـولَـهْ

فاهْنَئِي يا عينُ ها قَــدْ أَركضَ السُّهْدُ خُيُولَـهْ

وأَنيخِــي مَركــــــبَ الآمــالِ في الأرضِ المَهُـولَـهْ

أَرَقٌ كــانَ هُــوَ اليــأسُ فهَـلْ أبكـي رحِيلَـهْ؟!

شعر

وافاطمه..

■ إبراهيم طالع الألمعي *

"إلـــى كـل الفاطمـات"

كَفَّنْتُهَا
قَصِيدَتِيْ
وَافَاطِمَهْ
وَمَعَ الْحَيَـــاةِ كَتَبْتُهَا بِدَمِ الْفَنَاءِ،
حُرُوفُهَا فِيْ كُـلِّ دَمْــــعٍ سَاجِمَـهْ
وغَزَلْتُ منها كـلَّ حـرفٍ فاطمـــهْ

●●●

وَسَّدْتُ مـاَ بَيْنَ الْجَنـادِلِ خَدَّهـاَ ... وَكَـأَنَّــــهُ لَمْ يَغْــنَ أَمْسِ مُنَعَّمـاَ
وَحَنُوْطُهاَ مِنْ عُمْرِيَ الظاَّمِيْ لَهـاَ ... مُتَفَجِّــراً شَوْقــاً يَبُلُّ الأَعْظُمـاَ
ولَثَمْـــتُ ما بينَ اللحـودِ ورأسِها ... رِفْقـــاً بوجـــهِ الأمِّ أنْ يتـأَلَّمــاَ
(منْ طُهْرِها صلَّى التـرابُ بنورِه ... والقبــــرُ سبَّــحَ دون أنْ يتكلَّمـا)
لِتَلِيـــقَ آهاَتـــيْ بِمَنْ سَجَّيْتُـهـا ... تحتَ الثَّرى ورجعْتُ أرْشُفُ مأتماَ
عاقـــرْتُ كُلَّ الْمَـــوْتِ في سَكَراَتِـهِ ... فوجــدتُ أقساهُ الْفـراقَ الأَبْكَمـاَ

●●●

كَفَّنْتُهاَ
قَصِيدَتِيْ
وَافَاطِمَهْ
وكَسَيْتُهاَ كَفَناً رَخِيْصاً،
حينَ كاَنَتْ كُلَّ يَوْمٍ بَسْمَةً أَوْ دَعْوَةً أَوْ غِنْوَةً

* شاعر من السعودية

تَشْدُو عَلَى أَوْتَارِ دَهْرِيْ حِينَ غَلَّ نَسائِمَـهْ

•••

يــاَ سِدْرَةً لِلْمُنْتَهَى كَانَ الْمَخـاضُ لِجِذْعِهاَ يَوْمــاً سَعيْــداً مَغْنَماَ

هاَ ذَلِــكَ الْفَرَحُ الّـذِيْ عَتَّقْتَــهُ يَحْثـُو تُراباً فَــوْقَ رَأْسِكَ أَقْتَماَ!!

وَيَعُـــودُ والصَّوْتُ الأَلِيــفُ يَزُفُّهُ: (وَدَّعْــتُ رَبِّــي) راعِشاً مُتلعثِمــاَ

•••

وَقَبْلَ أَنْ تَزُوْرَناَ السَّماءْ

عَلَّمْتِناَ بِأَنَّناَ مَطَرْ

وَقِيْلَ لَكِ:

أَنِ اضْرِبِيْ بِمُسْتَوَى عَصاَتِــكِ الْحَجَـرْ

فَأَوْرَقَتْ بِالْحُبِّ صَخْرُناَ..

وَغاَلَكِ الْقَدَرْ

•••

مِنْ أَيْنَ لِيْ وَجْــهُ الْمَلاَكِ وَدِفْؤُهُ وَمَتَى اللِّقاَءُ بِناَ وَقَدْ طاَلَ السَّفَرْ؟

ماَ أَقْبَــحَ الأَيــاَّمَ فِيْ عَيْنِ الَّذِيْ لاَ أُمَّ تُهْدِيْــهِ أَساَطِيْــرَ الْبَشَــرْ!!

أَوْ تَرْتَقِــيْ لِلَّــهِ ساَجِــدَةً لَـهُ تَهْمِيْ دُعــاَءً والِهاً وَقْتَ السَّحَـرْ!!

•••

كَفَّنْتُهاَ

قَصِيدَتِيْ

وَاَفاَطِمَهْ

أَمــاَّ أَناَ !!:

أَناَ لاَ أَعِيْشُ وَلاَ أَمُوتُ، فلا تَخَفْ يـا قابِـري

هادِنْ إِذاَ ماَ الْقَبْرُ فَجَّرَ لَوْعَتــيْ فِيْ طائِـري

وَتَوَحّــدَتْ أَشْلاَءُ عُمْــرِي غِنْــوَةً لِلســاَّمِرِ

أَناَ بَرْزَخٌ فِيْ قِمّــةِ (الأَعْراَفِ) أَنْسِجُ زامِــري

لاَ أَنْتَمِي لِسِواَيَ، وَحــدِي أَنْتَمــيْ لِلشاَّعِــرِ

قِيثاَرَتِـــي قَدَرٌ تَصَعْلَكَ واكْتَــوَى بِالْغاَبِــرِ

شعر

•••

سَأعِيشُ فـــي قَدَرِيْ المُهَيْمِنِ أجْتَلــي أسْرارَ مَنْ ذَهَبُوا
وَأذُوبُ فيْ دُنْيـاَ صَعاَليك الشِّعاَبْ

وَأُحَـــرِّرُ الأَيـــــاَّمَ مِــنْ عَثَراتِهـــاَ وَأُعَرِّبُ الْبـــَدْوَ الَّذيــْنَ تَبـدَّلُـوا
لِنَزُورَ قَبْرَكِ أُمَّــــــةً تَكْتَالُ مِنْهُ كِفاَحَهــا وَعُرُوبَــةً قــدْ تَخْجَـلُ
فَهُناَكَ فيْ قَبْـرِ العروبـــةِ شيمَةٌ تَحْتَ اللُّحـــــُودِ وَبَعْثُها لاَ يُؤْمَلُ
مَنْ عَـــزَّ فِـيْ الدُّنْياَ عَلَيْهِ فِراَقُهاَ فَلَـهُ مِـــنَ الْيـَوْمِ الْمَقاَبِــرُ مَنْــزِلُ

•••

كَفَّنْتُهاَ
قَصيدَتي
ياَ فاطِمَهْ
كَفَنٌ رَخيْــصٌ، والْقُبُــوْرُ رَديْئَةٌ، وَسَطَ الْفَــلاَةِ، وَماَؤُهاَ غَوْرٌ، وَزائَرُهاَ الْوُحُوْشُ، وَكُلُّ مَا حَوْلِيَ بُوْمٌ يَسْتَعِدُّ لِيَتْلُوَ اليَوْمَ الصلاةَ، كَماَ تَغَنَّى مُتْرَفُونا بِالنِّفاَقِ وبالظلاَمْ..

•••

كَفَّنْتُهاَ
قَصيدَتي
واَفاَطِمَهْ
آمَنْتُ أنَّ عُرُوبَتِيْ ماَتَتْ، ولَكِنْ كيفَ لي ألاَّ أرَى فِيْ كُلِّ وادٍ غنْوَةً مِنْ شيْمَةٍ، أوْ دَمْعَةً مِنْ عَيْنِ كادِحَـــةٍ تُطارِدُ خَطْوَتِيْ وتعيدُ لي مماً تهدَّمَ في الغناءِ حمائَمَهْ؟؟

دَفَنْتُهـــاَ! وَقَبْرُهــاَ المُشْتَــاقُ لـي هيمانُ في صدريْ، وأعشقُ هائمـهْ
وَكَأَنَّـــهُ لاَ يَكْتَفـــــيْ بِجَبِينِهـا أَوْ أَنَّ أُمـــاً عَطَّرَتْـــهُ نَسائَمَـهْ!
أَبْكـــي لَهاَ ما أمْطَـرتْ حبــاً وما حَفِيَتْ لَنـاَ بَيْنَ الْجِبـالِ الظاَّلِمَـهْ
لاَ، لَمْ تَمُــتْ، والْمَــوتُ لَيْسَ لِمِثْلِهاَ مادامَ لِيْ فيْ فَـــاطماتــي حالِمَـهْ
فَرَّقْتُ فِيْ كُلِّ الْوُجُــــوهِ مَواَجِعيْ وَعَشِقْتُ كُلَّ الفاَطِماَتِ بِفاَطِمَــهْ

شعر

ملامح

■ أحمد السعد *



في المطعم..
تسحرنا..
باللذة..
آهاتُ الأطباق..
ونغمسُ..
أيدينا..
في عروقِ الفقراء..

●●●

في البارِ..
تتدلى..
كلماتُ الأغنية..
البهاء..
على الأذنِ المهووسة..
بالصمت..
ويقمعُ رأسَ..
الطبلِ..
لتصحو..
أنات التعساء..

●●●

في الشارعِ..
عصفورٌ
يرقصُ مذبوحاً..
ينقرُ..
في الإسفلت..

* شاعر من السعودية

لعلّ الصدفة..
تمنحهُ..
حبةَ قمح
أو قطرةً ماء..

•••

في المصعد..
أكتافٌ تتلاَسن لاعنة..
وعيونٌ غرثى..
تتشهى
هذا النهد البارز..
لكن لا تعلم..
ما يملؤه..
أحليبٌ للطفل..
أم عبثٌ يتشكلُ
من آهات.. ودماء

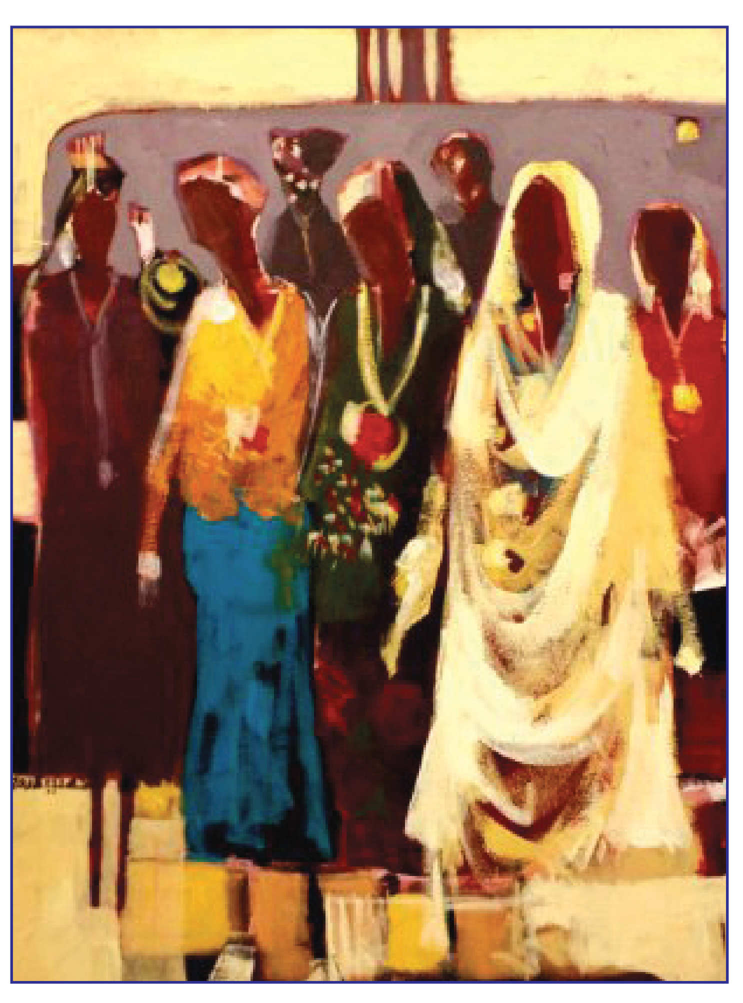
•••

في المرقص
أحذيةٌ تهذي..
فوقَ الـ "بست"..
مضاجعة في نهم..
مخمور..
يقفزُ على أكتافِ
الولهى..
ويرددُ أغنيةً..
بائسةً..
تجمعُ شرقَ الأرض
مع الغرب..
لراقصة
لا تعرفً معنى الإعياء

•••

في الليل..
تتشكلُ فَي داخلك الرغبة
أن تكسر
كل حواجز هذا الخوف
وترحل
من لاءات الناس
فتسقط
في فخ الممنوع
تتكوم
فوق سرير الوهم
وتقسم
أن تبقى..
في دائرة الأسر..
بلا أمل..
ودون رجاء

إبداع: قصة



قصص قصيرة جداً..

■ د. كوثر محمد القاضي *

قُبلة

نظرتْ إليه بترقب، لم تكن يوماً تحلم باقترابها منه بهذا القدر ، نظر إليها ببرود: ترى بماذا تفكر؟، لم تمهله ليتردد، ألصقت شفتيها بشفتيه، وبين ذهوله ونشوتها، صاح المخرج: "كَت" ، إعادة المشهد مرة ثانية.

عقال أبيض

كان متفائلاً بالعودة لأندلسه، لم ير ابنته الصغيرة وهي تدفعه إلى الخلف وتتعثر بثوبه، كان يحاول أن يثنيها عن قرار الطلاق.. لكنها أبتْ، لم يكن هناك ثمة وقت لاستبدال العقال، فأماله جهة اليمين.

براءة

رسمتْ شجرة فوقها زهرة، وبحثت عن اللونين الأخضر والأحمر، لكنها لم تجد إلا لوناً واحداً، سألت أمها: هل يمكن أن تكون الزهور سوداء؟!

إلى الوراء دُرْ!

تعثرتُ برباط حذائي الجديد، وعندما هممتُ بالوقوف، لم أجدني.

سَورة

كان يتمنى أن تكون له وحده، وعندما التفتَ رأى السحب التقت بالأفق.

جدل

تتناوشه رغبتان.. لا يعرف كيف يميل إلى إحداهما، فكّر وقدّر، ثم أردفهما بثالثة.

* قاصة من السعودية

قصة

الرسم بالحب..

■ محمود عبدو عبدو *

"هوامشُ لشرفاتٍ تجهلُ من يمرُّ تحتها "

أوركسترا اللون

اللوحةُ البيضاءُ خَفَّضتْ بياضها
لصالحِ صخبٍ جَلَبتهُ ريشةُ تشكيليٍّ مائلٍ للغروب!!.

مايسترو الكلمة

الألوانُ تَنهّرت، ارتمت حافيةَ الوجعين..
وتحتَ النّافذةِ بدأتِ ترسمُ سُلّم النّجاةَ!!.

قماشُ آخرِ السّهرة

حاملةُ اللوحة، نسيت مهمتها - الابتسامة وما بقي من حفيف
أشجارٍ تُعاندُ موتها بالوقوف -
تقاسمت صخباً نائحاً مع نعش الرّيح
لم يُعر اهتماماً للتّشكيليِّ المائلِ للغروب..
قَشَّرت قلبها، وانهمرت لتُساعد في رسمِ السّلم!!.

أحلام

أحلامهُ تمثّلت في خريف
تنسى أوراقهُ صَفَار الموتٍ، ونافذة تتوضأ بأدعيةِ اللون.
طيف سواد يحصد قرعات المطر المؤقّت.
مؤخّراً بكلتا يديه حمل ورده المرسوم
بياضهُ يستعيرُ منه محبرة ويمضي!.

* أديب وصحفي من سوريا

عودة..

■ عبد الله السفر *

(١)

عدتُ إليكَ بلا ذاكرةٍ ولا نحيب. لعلّ فجرَ النّعاس يرحم المأخوذَ بهمسَ كوخ يتنوّر بجمرةٍ تطيشُ في ليلِ العاصفة.

عدتُ بلا ذاكرةٍ ولا نحيب. المخبولُ يدقُّ بلاَ يدٍ. بلا يدٍ يتابعُ المخبولُ طريقَه.

(٢)

جرحٌ صغير يزيِّن الجبهة هلالاً، ربما، من أثر الطفولة وشغب الشارعِ. سألَ عنه فردّتْ بابتسامة، وحَكَتْ وهي تتحسّس؛ توقظُ الذاكرةَ وترشّ النعناع على الجرح القديم.

كانت شفتاها في البوح.

كان هو في زمنٍ آخر يتابعُ خوضَه في ينابيعَ جفّتْ.

ها هي ترشّ الصحوةَ، فيغيب.

مَنْ أهداهُ سُكّرةَ هذا المساء، فنأى هاذياً في دروب مغلقة. مخبولاً يدقُّ الأبواب، يتسلّخُ جلدُ كفِّه وصوته يتخثّر فيما يشبه النحيب.

لا يبين صوت.

لا تنفتح فُرجَة.

جرح صغير...

جرحٌ قديم يكبر في خدر النعناع.

* قاص من السعودية

قصة

العابر..

هل تظنّه الجرحَ هذا الذي يلفّكَ في غمامته والحيرةَ.
طرقَ السؤالُ على بابك، تركتَهُ غائباً فيَ عديد طرقاته، وانزويتَ ملموماً على الأوجاع مشبوقاً بسنّارة لا تصيد إلا ثمرةً مهترئة مُرّة، تقلّبها مِراراً على كفِّ الحسرةِ والاشتهاء. مطرٌ كثيف وغربةٌ تصهل.

صاعقةٌ تهزّ السرير وليس العابر هو ما يحدّقُ في شظايا وأسمالٍ كنتَ ترتّبها بمهل الموسوس بلهب المسوس.
غالبتْكَ الخطى وقمتَ تترنّح إلى الباب.
كنتَ أنت نفسك الطارق وقبضة السؤال الثقيلة واقفةٌ في الهواء تنتظر وجهَك.

دُمْ.. دَمْ.. دُمْ.. دَمْ.. انشعبتْ النوافذُ وطارت في الأفق حمامةٌ، رسمتْ بمنقارها وجعاً خفيضاً واختطفتْك.
انشعبتَ تتبعُ معراجَ الألم بصدى طرقة هي الموجةُ تدفعُكَ إلى أعلى وأعلى مقبوضاً؛ تنتقِشُ على أعضائك بهجةُ السلالة ونداءُ الأقران.
سلامٌ عليك أيها الموجَعُ؛ ما فتحْنا لكَ القميص ولا هيّئْنا لكَ المتّكأ، فامضِ مقبوضاً إلى حمامة التيه.
لم تكن لعنة لكنه الدّمُ المتخثّر على جبهتك وتربتُكَ المالحة.
امض. طوبى لك أيها العابر، فلا تلتفتْ.





وإلى وادي الإبط غرباً؟

■ أحمد ختاوي *

يمّم مقروراً كما الطير شطر الدفء غرباً، وكما العير.. كما النفي في المنافي.. عبر مراحله.. يحمل بمنقاره خزي القبائل.. وعلى ظهره المحدودب صقيع الأهالي.. ووجهاء القبيلة، وأطياف الأحاجي.

كان قاضياً في الكوفة. في البصرة..في أقاصي البقاع.

كان عربيداً كما أبي نواس في الأسواق.

كان كما ماء القبيلة في السواقي.. وكان من وجهاء المدينة.

قحمٌ هذا الذي يؤرقني.

أسند ظهره لطيف السواقي، ولوزر الضواحي.

لم يكن كماء القبيلة في السواقي، عذرا، أخطأتُ وأخطأتِ القوافي.

وأخطأتْ صراصير الدباجة في المآقي عند بهو القضاة في البصرة.. في الكوفة.

لم يكن قحماً هذا الذي يؤرقني.

كان قزماً يزن مقدار سنام ناقته، خاليةً من الوبر.. خاليةً من شيب مظفر النواب.

كان كالسعير يوم الغضب.

كان يمتطي غضبي.

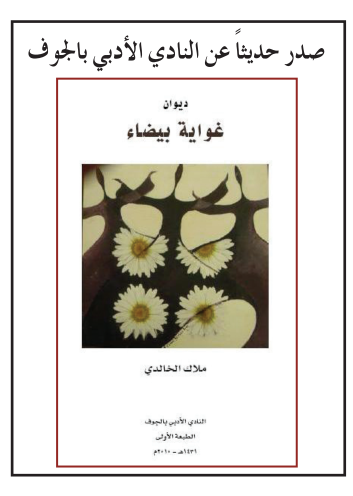
كان كما انفلاق الأفق في وادي المقدس طوى.. أسند ظهره المحدودب إلى سنام ناقته.ونام على وقع رياح الفيافي.

لا أدري كيف خطر بباله هذا الذي يقوله العلامة الجزائري، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة في الجزائر:

شعب الجزائر مسلم، وإلى العروبة ينتسب

* قاص من الجزائر

"من قال حاد عن أصله، أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له رام المحال من الطلب.."
استيقظ من سباته، عقر ناقته، مستبشرا خيرا بعروبة يترب وجوامع السيوطي. وأحاجي الأمم المتحدة..
بموجب العدل الذي يسري في وصالها.. ووفقا للمادة المنتقاة المستقاة من صلبها.. من وصيتها.. تسلق جحا بأحاجيه غضبها.. ليمتحن صبر أيوب.. وتضاريس أزمانه في أحاجيه..في أحاجيها.
في زندقة إخوان الصفا..في المداد الذي كتبت به المعلقات السبع.
بين الكعبة وأسوارها.
في كمد أصاب طرفة بن العبد من جراء غضبها.. عملا بقولها:
«لن أعطي القوس باريها".
لن أمنح وسام الصعلكة لتأبط شرا، أو لمن يتأفف قرب حدائق مبنى نوبل في أكاديمية ستوكهولم..ليقتات من فُتات الجائزة.
تأفف جحا..تضوع جوعا.. أسند معدته إلى "أشعب "الذي كان يمتطي طمعه وجشعه..في غزة التي كانت.. وما فتئت تحتضر.
من قال أن غزة تحتضر، قال جحا في وضح النهار أمام الأمم.
أمام الكمد الذي أصاب طرفة بن العبد.
من قال أن "بلالاً " لن يتسلق أعالي القبة في القدس.
مثلما علّق صدى الأذان فوق ربوة الكعبة.
ليمزق أحاجي جحا.
أحاجي الأمم المتحدة وربيبتها.
في حيفا...في عكا..
في بعلبك.
من يقول لن تصدح: (الميجانا)
في الجولان.
رام المحال من الطلب (١)
رام المحال من الطلب



قصة

قالها جحا.. واختفى.

كان على مرمى غضبها.. حين اختفى.

رأى في المنام أن البراق، وأن المهدي المنتظر.. يرشحان ماءً عذبا بفمه ليقتات من سهاده.. من أرقه.

استيقظ جحا.. ليمزق أحاجيه.

عملا بغضبها.

قال:

أحاجيّ شهد في عسل الأجيال بين الجبال، بين النحل بين التلال، بين النخلة الباسقة وأختها، بين النخاسة، وتضاريس القيّم.

عاتبه طرفة بن العبد حين ألزمه السكوت على ما حدث.

قال طرفة: اسحبني يا جحا من قائمة المعلقات السبع.

اسحب عنترة الذي لم يكن معنا.

توضأ جحا بحليب ناقته.. قال: ها أنت "قد رميت المحال من الطلب."

عنترة لم يكن معكم.

كان بربوة الكعبة يفتح الأفاق.

يطل عن المسكوت عنه في المعلقات.

يرشح بأذانه صمم أبي سفيان ومن معه.

قالت الأصداء:

أنت أحلك سوادا من مانديلا... مثل "أوباما" الكيني.. مثل محمد علي الأمير كي.

أبو ذر الغفاري: أنتم جميعا تشككون فيمن كتب رواية "زبيبة "

كان حنظلة يقضم الفولاذ على مرمى حجر من سراديب رفح.

و كان سلمان الفارسي يذيع وصيتها: عملا بغضبها.. حين كان جحا يتفرج عليه، وهو يحفر الخندق ليطل على ماء وتلال المدينة.

ألحقوني بوادي المقدس طوى، صرخ جحا حيث يمم واختفى.. واحتفى.. لم يكن هو.. عفوا.

كان طيفه..

وإلى وادي الإبط غربا يمّم..

(١) عبد الحميد بن باديس.. تضمين مقولة العلامة الجزائري

قصة

انفصام..



غلاف رواية (وأشرقت الأيام) للقاصة مريم الحسن

■ مريم الحسن *

تداهمه أمواج من سواد حالك تطغى على دروبه المتعمقة في كيان نبوي .. بسيل من زبد فياض يغدق على عيالاته من رأف وحنان .. كصلاة ناسك متعبد في محراب التوبة تتناثر دموعه خشية وندم .. يدخل غرفته يسير على قدميه.. تُسَيِّرُهُ روحه نحو المجهول، تلتفت نحوه سكنه ومودته تلك الفتاة الكاسية من قلائد ملائكية متبتلة، تبتسم له .. وتستقبله في بشر ، فيصدها بملامح كئيبة يتعداها ببضع أقدام .. متقدما نحو شرفته .. يجلس على كرسيه وهي تصوب نحوه نظرات ملؤها سيول من دمع غزير، ترف أهدابها الطوية السوداء مبللة بندى ساخن على حالته التي آل إليها .

يجلس على كرسيه شارد الذهن، تعزف مشاعره على قيثارة الحزن متأسفاً على تمزق دقائقه وثوانيه مع زوجته الغالية، وهو بهذا الشكل التائه، يضج الفكر في عقله متسائلا في ضياع.. ونظراتهما متلاصقة:

ـ لا أدري ما الذي دها سلوكي العريق المتعمق في البياض..؟

أي نائبة حلت بتلك النفس المتلبسة أوصاف الملائكة..!

يا إكسير الحياة المتعمقة في أغوار دهاليزي..

أيتها المتناهية في عشق طفولتي .. لا أعلم بأي صرخة أصف لك الحالة الغريبة التي تنتابني بغتة وتدفعني إلى الغوص عكس التيار.

* قاصة من السعودية

صرت كنقطة عريقة تتشبث بأطراف الجنون ، أهيم في لجج الضياع نحو طريق مجهول لا أعلم خباياه..

روحي ظمأى إلى قطرة ندى من الوهم..

بلا سبب مفهوم، ولا هدف واعٍ.. ارتاد الطرق الملطخة بالوحل المتلبسة ستار السواد.. متجرداً من كل شيٍ حتى روحي أريدها أن تتسلل وتهرب..

كالغارق في بحر عتي يبحث عن غبار السماء يتعلق به لينقذ نفسه من إزهاق الروح، كل جهاتي وعبراتي تحت سيطرة المارد الآمر الغريب في تلك النفس المجبولة على العصيان والتمرد.. تتردد أصداؤه في إلحاح أن أهجر ما اعتدته وعرفته وأحببته.. وكل ما تعلقت به روحي وعشقته وجبلت عليه.. يأمرني بإخلاء دهاليزي المسفرة بفوانيس حبي وعشقي وجموحي واندفاعي..

إلى سراديب العتمة الخالية من كل حياة..

يأمرني بالرحيل من طوق المعرفة إلى حبال الجهل العاتية..

يسلبني من حضنك الدافيء .. إلى صقيع الشتاء القارس..

يجذبني من لحاف عطرك العبق إلى جدائل الليل المكوم بتكتلات السحاب المحتقنة بقطرات المطر المتجمدة..

ذلك المارد المتسلط الذي يهتف صوته من عمق سحيق مجهول في أعماقي ، يكبلني كلما قاومته وحاولت تجاهل أوامره المتناهية في إجحاف الانتماء، ووصل الغيب .. يجعلني أصرخ في اختناق وأحاول الخلاص والهروب مما أنا فيه.. صار يكويني بنار حب وظيفتي.. ويشنقني بحبال عشقك ياحبيبتي، ويكتم على أنفاسي بوسادة تعلقي بطفليَّ الحبيبين..

حياتي الرتيبة المكللة بعطر الزهور والورود.. كرهتها. صرت أرى كل شي قريب من نفسي بعين السواد.. تهوى نفسي الرحيل، أهيم في متاهات المجهول الغامض بمصباحي الصغير، ليحميني من التعثر في حجر طريقي الأظلم.. كالضرير أتلمس جوانبه وأتحسس سبل العبور في خفاياه..

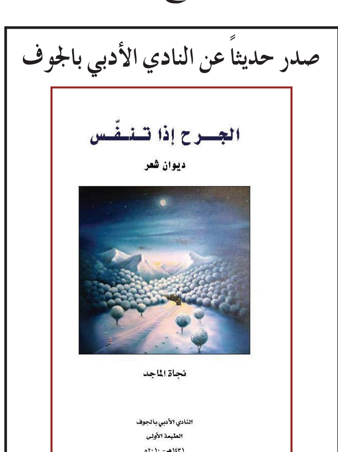
تقترب منه بثينة وهي واقفة عند رأسه تنخل شعراته السوداء الناعمة بمشط أناملها تتخلله بنعومة ، فتنساب بغزارة لتعود مرتبة كما كانت.. تنكب على رأسه تلثمه بدموع جارية .. تشد بكفها على كفه تحتمي به من غدر الزمان .. يسحب يده في ارتجاف يداهمه اختناق يكتم أنفاسه، يلوح برأسه يمينا وشمالا.. يخرج من الغرفة مهرولا ودموعه تتناثر حوله، يصطدم بطفليه وهما يركضان حول صالة شقته الأنيقة التي رتبها بأثاث فاخر، وهو بكامل صحته النفسية.. تعداهما.. لا يطيق رؤيتهما، يشعر باختناق.. هرب من الشقة كمن يلحق به عدو .. وصوت زوجته يلاحقه في عذاب :

ـ عد.. عد.. يا حبيب القلب عد .. ماذا دهاك يا زوجي الحبيب..؟

تضم طفليها باكية.. ثم تهفو إلى سماعة الهاتف تستنجد بأحد أفراد العائلة علّه يلحق به ..كي لا يضر نفسه..

هام على وجهه والشمس تلملم أطرافها منسحبة نحو المجهول، تجذب معها كل أمل ونور، وستار الليل يلقي سواده هنا وهناك.. يختلج قلبه مرفرفاً وهو يقترب بسيارته من موقع عمله، ينظر إليه والبحر المسجور في وادي عنيه يصطلي.. تلتهب أجفانه مودعاً هذا الموقع الذي طالما أحبه وعشقه وكون حياته من خيراته وجهده.. أدار المحرك بتوتر وعصبية وهلع، وفر هارباً من حرارة النار التي تكويه.. يلحق بقرص الشمس ويختفي حيث تختفي..

فلا يسع بثينة إلا حمل طفليها والمكوث عند أهلها تنتظر عودته من الظلام الذي سينشق يوما.. ليظهر رجل حياتها الذي أحبته وسلبته منها الأيام.



رقصة روحها..

■ تركية العمري *



صوت عبد المجيد عبد الله الدافيء المسافر في تلافيف أغنية حالمة يستفز قد ريم الريان، فتنهض من مقعدها وتصعد المسرح.. وتبدأ ترقص بدلال، يكمل عبدا لمجيد..

(لو جيت وقلت ما أبيه.. العن غرامه واسب طاريه)

تنظر إلى صديقاتها اللواتي يصطففن أمام المسرح.. تردد إحداهن

(من ورا قلبي ما هو بقصدي..)

تكمل صديقتها مقطع الأغنية وهي تشير بسبابتها إلى ريم..

(أغليه واغلي من يغليه)

يضج المكان بالهتاف، والتصفيق، وكلمات التشجيع، تنثر ريم خطواتها الراقصة على المسرح المزين بأقمشة حريرية، وكرات بلورية ملونة.

* قاصة من السعودية

صوت إحدى صديقاتها يأتيها "أحلى يا فيروزي"، تمر بأناملها بدلال على كمر حزام تنورتها الفيروزية الضيقة، التي تصل إلى حدود ركبتيها، وتشي بدلال ردفيها.

هذا المساء.. هي أنثى قادمة من عوالم لوران، يبعثر عطر N5 قبلاته على جيدها، ووجنتيها، ويبث أسرار عشاق وضحايا مارلين مونرو.. لخصلات شعرها الكستنائي التي تلامس حدود كتفيها، جاكيتها السكري الذي تلتصق فصوصه المائية بحمالة نهديها.. والذي يطل شريطها الدانتيلي من أعلى كتفها الأيمن.. ليبوح بأناقتها الكاملة، و (البانتي) - الذي يشبه لون بشرتها إلى حد كبير - يضم ساقيها بوَله. يزداد التصفيق، وتتدفق ملامح فراس الهادئة، ونبرة صوته التي تسافر بها إلى موانئ أحلامها البعيدة، يزداد التصفيق، وتصعد أجساد أنثوية أخرى المسرح، تتصاعد كلمات الأغنية.

تترك المسرح،تجلس على طاولتها المفضلة، وتتناول كأس عصير من أمامها، ثم ترشف منه قطرات. تسقط.. عن أذنيها وترتبك، تبتعد كلمات الأغنية رويدا، رويدا، يُطفأ شعاع التواصل مع الأجساد، مع اللحظات، مع البهجة، بسرعة أعادتهما إلى أذنيها.

عادت الأصوات إليها من جديد، التصقت بالحياة،، سارت بخطواتها إلى المسرح، ورقصت لروحها، التي فقدت إحدى نوافذ حياتها الخمس ذات مساء غامض.

قصة



الركض صوب المستعمرة..

■ عمار الجنيدي *

بروّية وهدوء، وقف أمام أحد الكهوف القريبة من قلعة عجلون. تأمل المنظر جيدا، فالشمس النائسة خلف القلعة، منظر تمنّى رؤيته منذ زمن بعيد، طالما سمع عنه من الكثيرين..

دخل الكهف وتملّى فيه جيداً، جلس واتكأ على أحد الحجارة المهيأة بفعل إنسان حاذق في نقشها.

دارت فيه الأمنيات:

- لو أنني عشت في زمن صلاح الدين، لكنت خضتُ معارك مصيرية، وربما كنت أحد الفرسان أو القادة الذين ذكرهم التاريخ في بطولاته وملاحمه.. آه.. لكنتُ شاركتُ على الأقل في بناء القلعة، لابد أن جدّي يوسف شارك في حمل هذه الحجارة العظيمة على كتفيه..

استبدت فيه الأحلام والأمنيات، فغفا وهو يتخيّل نفسه فارسا من فرسان التاريخ، يصول ويجول على صهوة جواد أبلق، يشق بسيفه صدور الأعداء، ويصعد إلى قمة برج القلعة ويملأ صدره بهواء نقي، ويزفر متنهدا ومتمنياً أن لا يأتي زمان تكون فيه بلاده عُرضة للإهانة والاغتصاب..

لم يعرف على وجه التحديد كم من الزمن مضى عليه وهو غاف في الكهف، فبعد أن صحا من نومه. وفتح عينيه جيداً. تلمّس جاكيت الجِينز والبنطلون المهلهل. ولمّا رأى لحيته الطويلة التي خالطها كثير من الشيب والشعر الأحمر، أحسّ بالهرم..

- لا بد أنني نمت طويلاً..

قام ببطء وتثاقل. خطا إلى خارج الكهف. أبهره ضوء الشمس الذي بدا في مراحل هزيعه قبل الأخير. وضع يديه على وجهه، اتقاء الضوء الباهر. وتابع خطواته إلى الخارج. نظر إلى التلال المحيطة. ارتسمت على وجهه ملامح الدهشة:

* قاص من الأردن

- أين ذهبت القلعة؟؟.. أقسم أنها كانت على ذاك الجبل الشامخ.. ربّاه.. ما الذي يجري!..

عاد للبحث عن القلعة في مختلف الجهات، وبخاصة على الجبال المحيطة بالكهف.

ولما أيقن أنها غير موجودة، تحولت ملامح الدهشة على وجهه إلى ملامح خليطة بين العجب وعدم التصديق والشك؛ خاصة عندما أبصر على أحد الجبال القريبة بنايات صغيرة متراصّة من الفلين، وكأنها مستعمرة صغيرة، من تلك المستعمرات التي ما زالت ماثلة في ذاكرته..

- لمن هذه المستعمرة؟..

أحسّ بالجوع ينهش معدته الخاوية. نزل إلى عجلون، بعد أن اجتاز سوراً من الأسلاك الشائكة. ساعدته لافتة كبيرة مكتوبة باللغة العبرية، فتسلّق عليها ثم هبط قافزاً إلى الأرض. استرعاه كثيراً وجود لافتة باللغة العبرية:

- ولماذا اللغة العبرية؟!.. لعلها أصبحت لغة عالمية بدل الإنجليزية!.. هه..

سخر من استنتاجه ومضى نازلاً إلى عجلون:

- وماذا يمكن أن يكون مكتوباً على تلك اللافتة؟.. وأين اختفت قلعة عجلون؟.. ولمن تعود تلك المستعمرة؟..

بدا مبهوراً وهو يتأمل البنايات الشامخة التي تشبه في طرازها المعماري ناطحات السحاب:

- ربّاه.. ماذا أرى!.. أين مسجد عجلون؟!!.. لقد كان هنا، محل هذه البناية الضخمة.. وأين الكنيسة، ومكتبة عقيل، والاستراحة، أين أبو العز؟!.. يا إلهي!!.. ما الذي يجري هنا؟!..

دفعه أحد المارة بكتفه، فقد كان محط سخرية الناس واستهجانهم لوقوفه الطويل أمام البنايات. نظر حوله بتمعّن، فرأى أناسا كثيرين يعتمرون قبعات دائرية وأردية سوداء طويلة، ولحى سوداء كثّة، وتعاظُم اللافتات على أوجه المحلاّت مكتوبة باللغة العبرية..

- لابد أنني أحلم.. فمن يصدّق هذا الذي أراه؟!

الجوع يستبد بمعدته، ومع طول التجاهل يستحيل إلى ألم مرهق.

دخل إلى كافتيريا قريبة. طلب من البائع رغيفاً من الساندويش..:

- يوجد لدينا فقط همبورغر..

- الحمد لله أنني وجدت أخيراً من يتكلّم العربية..
- يا رجل، أنا عربي، من يهود اليمن..
- يهود اليمن؟.. وماذا تفعل هنا، ولماذا جئت من اليمن؟..

مدّ البائع برغيف الهامبورغر إليه، وعلامات الاستياء بادية في نظراته:

- ثلاثة شيكلات..
- ماذا قلت؟..
- قلت ثلاثة شيكلات..

بحث في جيوبه عن النقود، فعثر على دينار.

- ما هذا!.. هذه العملة قديمة وهي ملغيّة منذ زمن طويل.. من أين أنت يا هذا؟..
- أنا!!.. لم تقل لي أنت؛ ماذا تفعل هنا، ولماذا جئت من اليمن؟..

استشاط البائع غضباً، فخطف رغيف الهامبورغر منه ودفعه إلى الخارج:

- هل سنعيد القصة من جديد.. هذه أرضنا يا رجل.. أرضنا التي وعدنا بها منذ قرون.. هيا أخرج من هنا، عليك اللعنة..

وخرج من الكافتيريا مطروداً، مدحوراً، جائعاً، ذاهلاً ممّا يدور حوله. ارتمى على كومة تراب أمام أحد المتاجر الضخمة، وراح يمرّغ رأسه في التراب وينثره على وجهه. تنهد بحنق وحسره. استجمع بقايا أنفاسه، وكبتها في صدره تمهيداً لإطلاق صرخة مقهورة تعتمل في داخله، لكن صوته ظل حبيساً في حنجرته؛ ولم يقو على إطلاق صرخته..

عاود التنهيد. ظلّت الحسرات حبيسةَ وجدانه المثخن بالذهول. نهره حارس البناية الضخمة كي يبتعد عن المكان.

تمعّن فيه جيداً:

- ليس هذا غريمي..

تقدّم نحو الحارس ببطء. غافله، وبضربة قوية على رأسه جعلته يترنّح، ضَرَبَهُ مرّة أخرى بنفس الطريقة. استلّ منه السلاح عنوة، واتجه راكضاً صوب المستعمرة..

وللحديث بقية..

■ لبنى ياسين *

أنفاس قلقة تغلي في عروقها، يزيدها نزق الصبا فورانا وحرارة، تنبعث من دهاليز روحها المغرقة في الحزن كما الحمم الممزوجة بالوهن والألم، تُضَيقُ عليها مساحة صدرها، تتكور الآهة في قلبها، تتسلل.. تتدحرج.. تتبعثر.. تنبعث و كأنها أوقدت من سعير قلبها المشتعل.

تثبت عينيها في عيني امرأة أخرى، تسند ظهر غيابها لحائط متآكل، تتوزع على ملامحه ثقوب متفرقة، ويشي لونه الباهت بلون الحزن الذي تصطبغ به كل زاوية من زوايا بيت مغرق بالوجع والفقد، تهمس لها بصوت لا يكاد يسمع، تتخلله دموع ساخنة، وأنين لا ينقطع، ونحيب تتكسر على جنباته كلمات بلون الحنين..

آه يا أمي.. لا أريد أن أزيد من قلقك، فقد أقلقت نقاء روحك بما فيه الكفاية، ولكن ما حيلتي يا أماه وأنا أزف إليك خيبة وراء خيبة، ووجعاً بعد وجع؟ وهل أملك غير وجعي وخيبتي لأعلن عنه ما في حضور غيابك؟!.

تركني يا أمي.. هكذا تركني ومضى.. وعدت ألملم ذيول الوجع على أعتاب قلب تهاوى لكثرة ما فقد.

كنت أحمل كتبي، وأمد خطاي نحو مدرستــي - كما كل يوم - عندما التقيته للمرة الأولى، وتلاقت عيوننا في غفلة من أوجاع روحي، ما كنت أعلم أن كل نظريات نيوتن عن الجاذبية، بوسعها أن تكون أكثر خطأً، عندما يكون جذب عينين حزينتين أقوى من كل قوى الجذب والنبذ التي وصفها لنا في قوانينه، ولا علمت أن جملة واحدة من مقهور تعاند كل جاذبية الأرض، وتنطلق نحو سماء الوجع، ولا تنتهي عند أفق يحده سحاب أو أرض. وما كنت أدري أن ناتج جمع واحد وواحد آخر،

* قاصة من سوريا

قصة

يمكن أن يعطي واحدا قلقا ثائرا غاضبا متألما، يجمع في قلبه حصيلة أوجاع أمة وأرض ووطن. وما علمت أن إعراب (فتى اسمر) يمكنه أن يتعدى حدود المبتدأ بنظرة واحدة، وأن يكون خبره مشحوناً بألم لا يغادر حنايا الروح.

نظر إليّ نظرة لا أدري كيف أصفها يا أمي، نظرة أكاد أقول أنها مادت بالأرض تحت قدمي لشدة رسوخها، وغارت في أعماق قلبي..
نظرت إليه، كان رث الثياب، يرتدي أوجاعه بأناقة جرح غائر، لم يكن لي أن أتعدى حدود آلامه دون أن تلامسني حد الانشطار، فبأي روح تراني أكمل طريقي، وأدّعي أنني لم أمرّ بقلب متمزق . شعرت بالجوع يحفر أخدوداً عميقاً في عمق عينيه، فأخرجت فطيرة المدرسة ودفعت بها إليه، إلا أنه هز كتفيه رافضاً، وأشاح بنظره عني بعيدا نحو أفق لم أره تماما، أصررت عليه.. وقدمت يدي بها نحوه أكثر، فتمادى في رفضه، فشطرتها نصفين وقدمت إليه أحدهما، فالتقطه على استحياء.
في نفس المكان، وفي اليوم التالي التقيته. مازال يبدي وجعه وآلامه، ومازالت أناقة الجرح تجاهر بوجودها على محياه الهادئ، ومازال يكابر.. لم أتكلم ، ولم يفعل هو، اكتفيت باقتسام الفطيرة بيننا، واكتفى بنصفه، ولم يشاطرني أوجاعه، فقط ابتسم بوداعة ومضى.
صار بيننا تواطؤٌ خفيٌ على موعد لم نتفق عليه يوما، بل ألفناه دونما قصد منا، ودون كلمة واحدة.
في الموعد نفسه، ينتظرني كل يوم عند نفس الزاوية التي تلم شعث رصيفين أغبرين، أحدهما ينتهي ببيتنا، والأخر يلملم ذيوله عند بوابة مدرستي الحديدية الصدئة.. يبتسم عندما يراني ابتسامة يلوح عليها وجع قصي، لا يستطيع إخفاءه تماما وراء نظرة شاردة ، أبادله نفس الابتسامة المواربة خلف ألف جرح وجرح، والمحملة بألف سؤال وسؤال، ولأنني أعي جيداً أنه لا يريد أن يجيب على أسئلتي النزقة، أكتفي باقتسام الطعام معه.

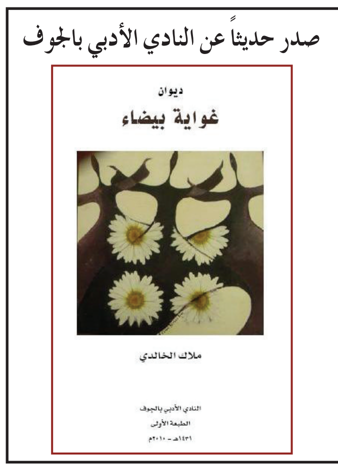
حتى أنني أحضرت له ذات يوم علبة عصير برتقال، لكنه أبى أن يأخذها، و كما في كل يوم، اكتفى بنصف طعام يزرعه في معدة لم تمتليء يوماً لإنسان يعيش على حافة الموت نصف حياة.

ذات يوم – بعد أن تقاسمنا جوعنا كثيرا – قررت أن استوقفه، أن أعرف عنه شيئا، وعندما مد يده ليلتقط نصف الفطيرة كما في كل يوم، أمسكت يده، فنظر إليّ متوجسا، بسطت كفي، وأفلتُّ يده كما لو كنت أطلق عصفورا مذعورا، ثم تراجعت وا كتفيت بإعطائه نصفه.

آه يا أمي.. لو تعلمين في أي مكان خبأت سره في قلبي، وأهلت عليه شجوني لئلا تتعثر بفوضى تفاصيله عيون متسائلة، تنبش الذاكرة علها تجد دليلا على الغيّ ، كم كنت انتظر رؤيته كل يوم، و كأنه صار الشيءَ الذي يربطني بالحياة ويشدني إليها.

في ذلك اليوم يا أمي.. لم أجده – كالعادة – عند المنعطف، فقد كان على الرصيف المقابل، يحمل حجرا ووجعا، ويرمي حصاه بقوة في صدر ذلك الوحش العملاق الواقف أمامه كالجبل الشديد الانحدار، كان صغيرا بما يكفي لتسكت أنفاسه طلقة واحدة من بندقية فاجرة، وترميه جثة بلا حراك، وماذا تفعل سنوات عشر تدرأ شقاءها وراء حجر أمام جندي مدجج بالحقد.

ر كضت إليه، رآني.. فابتسم لي، وعندما وصلت على مرمى نصف فطيرة من جرحه النازف، لم يعد في وسعه أن يمد لي يداً يأخذ بها نصيبه كما اعتاد أن يفعل، وما زلت يا أمي ألقي عليه تحية الصباح، وأضع نصيبه من الفطيرة في نفس المكان، علّ صبيّاً آخر له أناقة جرح يهتدي إليها.





جمعة..

■ محمد سعيد الريحاني *

قالت الأولى:

- رحم الله "جُمعَة"!

وقالت الثانية:

- تعازيَ الحارة ومواساتي الصادقة في هذا الرزء العظيم، يا أخت الفقيدة!

وقالت أخرى:

- نتمنى، نحن زبونات وزبناء "جُمعَة"، أن تكوني لها خلفا وأن تقبلينا زبائن لك في مكتبها.. على أن تلتزمي نهجها النقي من كل الشوائب وتتبني طيبوبتها مع الجميع!..

في الأسبوع الموالي، أعادت الأخت فتح مكتب المرحومة في حي "لالة أميرة الحارثية" وسط المدينة، وعلقت على باب العمارة لوحة كتب عليها بخط مذهب "مكتب أخت جُمعَة". وقد كانت المفاجأة سارة. فبعد سبعة أيام من السواد والحزن والدموع، تدفقت أمواج من الزبناء على المكتب، وفاق عددهم الأرقام المتوقعة..

وفي الأسبوع الثالث، ارتفع العدد أكثر فأكثر، حتى اصطف الناس على سلَّم العمارة الموصل إلى المكتب.

وفي الأسبوع الرابــع، صار الزبنــاء في الشارع ينتظـرون دورهم في طابـور طويل، بينما كانت الصحف المحلية تكتب عن "جُمعَة" التي أحبها الناس في حياتها وأوفوا لها بعد رحيلها.

وبعد شهر، علقت على بــاب.. في باب عمــارة من حــي "لالة ميمونـة" في الضاحية الجنوبية من المدينـة لوحة كتب عليها بحروف مذهبة "مكتب ابنة عمة جُمعَة" فكانت الطوابير الطويلة في الباب وفي السلم وفي الشارع وفي كل مكان.

وفي الشهر الثالث، ظهرت لوحة جديدة في باب عمارة أخرى بحي "لالة

* قاص من المغرب

عايشة البحرية" بالضاحية الشمالية من المدينة كتب عليها بحروف مذهبة "مكتب شقيقة جُمعَة من الرضاعة". ثم كانت الطوابير وكان الرواج في الداخل والخارج..

وفي الشهر الرابع، كان الحديث في كل المدينة عن بركة "جُمعَة" التي ضخت دماء جديدة في اقتصاد المدينة، ونشطت ساكنتها، وأوجدت فرص عمل حرة، وقلصت البطالة، وأغنت كل من ينتسب إليها..

وفي الشهر الخامس، صنفت بلدية المدينة دون استثناء كأغنى البلديات في كل ربوع البلاد.

وفي الشهر السادس، تقدم رجل بدعوى قضائية ضد المرحومة "جُمعَة" يتهمها بموجبها بتوقيع شيك بلا رصيد، مبلغه مدفوع بدزينة من الأصفار وراء دزينة من الآحاد ويطالب العدالة - نكاية بـ "جُمعَة"- بحقه في مقاضاة عائلة "جُمعَة" التي ما زالت تعيش مستفيدة من اسمها وَسُمْعَتها وثَرْوَتها.

وفي الشهر السابع، تقدم رجل ثان بدعوى قضائية ضد المرحومة "جُمعَة"، يتهمها فيها بالترامي على أراضيه قبل أكثر من عشرين عاما، وبناء العمارات الثلاث الحالية، حيث فتحت ثلاثة مكاتب.. ويطالب العدالة - نكاية بـ "جُمعَة"- بحقه في مقاضاة عائلة "جُمعَة" التي ما زالت تعيش مستفيدة من اسْمها وَسُمْعَتها وثَرْوَتها.

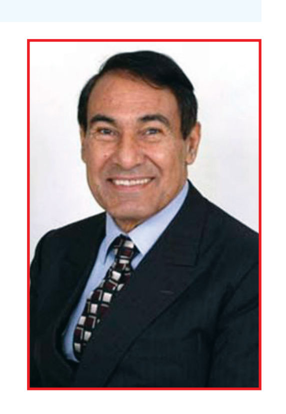
وفي الشهر الثامن، تقدم رجل ثالث بدعوى قضائية ضد المرحومة "جُمعَة" يتهمها فيها بمُرَاكَمَة الثرْوة عبر المتاجرة في الرقيق الأبيض بتهريب النساء إلى ما وراء البحار، ومن بينهن بناته الخمس، ويطالب العدالة - نكاية بـ "جُمعَة"- بحقه في مقاضاة عائلة "جُمعَة" التي ما زالت تعيش مستفيدة من اسْمهَا وَسُمْعَتها وثَرْوَتها.

وفي الشهر التاسع، حضر الرجال الثلاثة، وغابت النساء الثلاث عن أشغال جلسة النطق بالحكم بسبب آلام الحمل التي حَلّتْ بهن فجأة قبل نقلهن إلى المستشفى، بينما كانت القاضية ووكيلة المحكمة والمحامية يحررن بصمت رسائل استقالتهن من منصبهن على منصة الحُكم أمام الحضور الصامت.

حوارات



حوار مع الأديب المتميز محمد عز الدين التازي



المثقف العربي والإبداع بين المحلية والكونية

■ حاوره: محمد زيتون *

يعتبر الكاتب العربي محمد عز الدين التازي صاحب أكبر كم روائي وقصصي نشره مغربي حتى الآن، فهو مواظب على الكتابة والنشر منذ أربعين عاما. كتب الرواية والقصة القصيرة والمسرحية وقصص الأطفال وسيناريوهات بعض الأفلام، كما أن له إسهامات في النقد الأدبي. نشر أكثر من ثماني عشرة رواية في المغرب والجزائر وسورية ومصر و لبنان، قبل أن تَضُمَّ أغلبَها ثلاثُ مجلدات صادرة عن وزارة الثقافة المغربية. حاصل على عدة جوائز من أهمها جائزة فاس للثقافة والإعلام لسنة ١٩٧٦م، وجائزة المغرب للكتاب لسنة ١٩٧٧م.

ترجمت بعض قصصه القصيرة إلى الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية والسلوفانية، كما ترجمت روايته "مغارات" إلى الفرنسية، واختيرت روايته "أيام الرماد" من بين أفضل (١٠٥) روايات عربية نشرت في القرن الماضي، ضمن استقراء نشرته جريدة الأهرام القاهرية. قبل تتويجه بجائزة المغرب في الرواية أخيراً.

■ ما هو انطباعك وأنت ترى أعمالك الكاملة تخرج إلى حيز الوجود، وهل يمكن الحديث عن نقطة نهاية هي تمام اكتمال الكاتب؟

● من المؤكد أنها أعمال غير كاملة، ولقد اقترحت على وزارة الثقافة أن تغير عبارة "الأعمال الكاملة" بعبارة أخرى، ك"الأعمال الأدبية"، أو أية عبارة أخرى تتجنب وصف الأعمال بأنها كاملة، لكن نصا قانونيا سنته الوزارة كان قد سبق اقتراحي. عموماً.. فمعنى إصدار وزارة الثقافة لأعمالي وأعمال غيري من الكتاب والشعراء مجتمعة في مجلد أو عدة مجلدات، هو مبادرة إيجابية، وذلك لاعتبارين: الأول، يعني تقريبها من القارئ، سيما وأن بعض الأعمال قد مضى على

* كاتب من المغرب

نشرها أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، وأن بعضها قد نشر في بعض البلدان العربية ولم تصل نسخه إلى المغرب. والثاني، أن تقديم الأعمال مجتمعة، للقارئ، تضعه أمام مسارات الكاتب، وتعلقها بالتحولات التي عرفها المجتمع، وتوسيع القاعدة الاجتماعية التي تشكل الكتابة تمثلا من تمثلاتها، وبتحولات أخرى على مستوى بناء العوالم والأشكال. إن كاتبا مثلي، بدأ النشر منذ أكثر من أربعين عاما، وكَوَّنَ رأسمالا رمزيا يتجلى في نشر ثماني عشرة رواية، وتسع مجموعات قصصية، وأكثر من عشرين قصة للأطفال، وأعمالا أخرى، لابد أن يفرح بصدور "أعماله الكاملة"، التي هي في واقع الأمر، ليست كاملة، ولا تكون كاملة إلا إذا كان الكاتب قد توفي، أو أعلن توقفه عن الكتابة والنشر. أما بالنسبة إلي، فأنا ما أزال على قيد الحياة، وما أزال أواظب على الحضور في الكتابة والنشر، فبعد نشر المجلدات الخمسة تحت ما سمي ب"الأعمال الكاملة"، نشرت أربع روايات، كما أن تلك الأعمال لم تضم روايتي "زهرة الآس" التي كانت لوحدها سَتُكَوِّنُ مجلدا آخر. وفي اعتقادي إن الكتابة بدء يتجدد باستمرار من خلال التنويعات في المضامين والأشكال، وهي دوما بداية لا تعرف نقطة النهاية، إلا لظرف قسري يتعرض له الكاتب. ليس ثمة كمال في تجربة الكتابة، لأنها بحث عن ذلك الكمال الذي لا يوجد إلا في المثال. إنها مغامرة شاقة ولذيذة في آن. إنها عشق بكل ما فيه من المعاناة. إنها طريق لا نهاية له، وهو لا ينتهي إلا بموت الكاتب.

■ **أنت واحد من جيل حمل على عاتقه مهمة التجريب والتجديد، وناضل من أجل قيم ومعايير أدبية جديدة. كيف تفهم التجريب والتجديد، وما هو المدى الذي تتحقق فيه تلك القيم والمعايير؟**

● مع مطلع السبعينيات من القرن الماضي، عرف الأدب المغربي تحولا أساسيا تجلى في نظرة الأدب لمجتمعه، وفي تمثيل وصياغة هذه النظرة أدبيا، من حيث الاشتغال على اللغة والتخييل. ويكون الشعر قد سبق الرواية إلى هذه الطفرة من خلال شعراء مجددين كأحمد المجاطي، ومحمد الخمار الكنوني، ومحمد السرغيني وغيرهم. لكن الكتابة السردية، في القصة القصيرة والرواية، لم تحمل على عاتقها مهمة التجريب والتجديد إلا مع مطلع السبعينيات وامتداده، وحيث ظهرت أقلام أدبية خاضت تجربة المغامرة في كتابة نصوص جديدة، تمردت على أشكال الكتابة التي كانت سائدة ومعروفة لدى القارئ. في هذه المرحلة، جاءت نصوصي القصصية، ونصوص كتاب آخرين – وهي تحمل معها تشكيلا جديدا للعوالم، ولغة أدبية منحوتة، مكثفة أو هذيانية – موظفة لاقتصاد الوصف، أو متشاكلة مع عوالم الحلم والتخييل القصصي. وجاءت نصوص روائية اختلفت عما كان يكتبه روائيون آخرون، أعني رواية أحمد المديني الأولى "زمن بين الولادة والحلم"، وروايتي "أبراج المدينة". ربما لنا أنا وأحمد المديني هذا السبق، في اتجاه خلخلة الكثير من القيم الأدبية التي كان كتاب آخرون قد أسسوا لها، وأعني هنا روايات الأستاذين عبد الكريم غلاب ومبارك ربيع، التي نشرت قبل أن ننشر عملنا الروائي الأول، أنا وأحمد المديني. كانت نصوصنا القصصية التي سبقت نشر عملينا الروائيين الأولين قد أعلنت عن الاختلاف في طرائق الكتابة.

مرحلة السبعينيات في المغرب، كانت تشهد مَدًّا سياسيا معارضا ويساريا – ضد السلطة – عايناه وكنا معه، لكن مواقفنا والخنادق التي تخندقنا فيها لم تشفع لنا ونحن نكتب أدبا وصف بالنخبوية، والبورجوازية، والتعالي عن الشعب. في لقاءاتنا مع الطلبة، وجمهور المثقفين، كنا نواجه بتهمة تلك الأوصاف. حوارات

صاخبة لم تسمع أصوات كتاب كانوا طلائعيين في تلك المرحلة، وكنا أنا وأحمد المديني من بينهم، وهم يدافعون عن أدبية الأدب، وعن غياب أي تعارض بين أن يحتفي الأدب ببناء الأشكال وبين أن يُصَوِّغَ قضايا مجتمعه. عندما نعود إلى نقد هذه المرحلة، المكتوب والشفوي الذي يتم تداوله في القاعات الثقافية، سنجد أننا كنا غرباء عن جمهور يطلب الأدب المباشر، المعلن عن الرفض بوضوح. كنا رافضين من خلال غلالة الغموض الأدبي التي جللت أعمالنا، وهو غموض لم يكن يرجع إلى قناع أو تقية، بل كان يرجع أساساً إلى نقل الموضوع السياسي والاجتماعي إلى أبهاء اللغة الأدبية وإلى أبهاء التخييل. التجريب كما أفهمه، ليس مراهقة أدبية تمارس طيشها في الكتابة. إنه إستراتيجية للاشتغال؛ بمعنى أنه صنعة أدبية يملك الكاتب تصنيعها في النصوص التي يكتبها. الأدب التجريبي هو دوما يسعى إلى تناول الموضوعات باجتراح خاص، ورؤية خاصة، وهو يسعى دوما إلى تحديث الأشكال. إنه ضد الجاهز من الأفكار والقيم والمسبقات، لأنه مخلخل للقيم الثابتة، مكتشف للمجهول، ساع وراء تجدد لا نهائي. ليس ثمة من مدى يراهن عليه التجريب والتجديد في الكتابة، فالمدى يصير له مداه، لأن الكتابة التجريبية لا تبحث في النهائي، ولكنها تشتغل على اللانهائي.

■ **ما دور المثقف اليوم، أمام التغيرات التي يشهدها العالم؟**

● يجب أن نحدد طبيعة المثقف، حتى نتأمل دوره اليوم. الباحثون الجامعيون لهم مواقعهم في البحث، وجهات نظرهم في السياسة والاقتصاد والمجتمع والأدب، وهم لا يخرجون إلى الشوارع، لأننا لسنا بصدد ثورة ثقافية كالتي عرفتها فرنسا سنة ١٩٦٩م. أحيانا يظهرون في القنوات التلفازية لتحليل بعض الوقائع وإضاءتها، أو لقراءة بعض الكتب. إنتاجاتهم المعرفية والإبداعية تُعَرِّفُ بهم، ودورهم الحقيقي ينحصر في إغناء الفكر والأدب بتخصيب الأسئلة الجديدة وتطوير أدوات الإنتاج. نموذج المثقف اليوم، أصبح يختلف عن نموذج المثقف في عقود زمنية خلت، نظرا للتغيرات التي عرفها العالم، وانجلاء الكثير من الأوهام، وتدجين اليسار السياسي، الذي كان له مثقفوه، بمصالحات مع السلطة. لذلك انحاز الكثير من المثقفين، وخاصة المنتجين منهم في حقول المعرفة والإبداع، إلى العمل الفردي بدل العمل الجماعي. عندما تغير دور المثقف من فاعل من أجل قضية هي قضية التغيير السياسي والاجتماعي، إلى فاعل من أجل ثقافة لا يدعمها سند إيديولوجي وسياسي، ظهرت أعراض كثيرة على العمل الثقافي، فالفاعلون الجمعويون، وفي مظهر إيجابي خلاق، أصبحوا يمارسون حضورهم في مؤسسات المجتمع المدني، وفي مظهر سلبي آخر، أخذوا ينظمون اللقاءات والندوات في غياب أية إستراتيجية ثقافية، وهم يسعون لاهثين وراء الدعم من عدة جهات، ليتاجروا به كما يشاءون، وهم أشبه بمتعهدي الحفلات. لا نفقد اليوم المثقفين ذوي النوايا الحسنة، حتى وقد تغيرت قيم النضال والتضحية في العمل الجمعوي بقيم أخرى أقرب إلى النجومية والانتهازية وركوب المصالح الفردية.

إن دور المثقف اليوم، هو أن يجمع بين الموقف من الأحداث التي يعرفها الراهن في العالم، وبين أن يصوغ هذا الموقف في مقاربات علمية، إن كان الأمر يتعلق بالبحث، وفي تصويغ أدبي إن كان الأمر يتعلق بالإبداع. إذا كان العالم يتجدد بمعضلات سياسية واقتصادية واجتماعية فهو لا يتجدد، لأن هذه المعضلات قديمة قدم الإنسان. ما تجدد هو التكنولوجيا العسكرية والعالم الرقمي والفضائيات. بهذا الجديد ما زالت القبائل تحارب

القبائل، وهي دول متقدمة تحارب دولا أخرى وتغزوها كما كان البداة يتحاربون. الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان هي حرب حضارية من حيث استعمال الطرف الأمريكي الغالب للتكنولوجيا العسكرية المتطورة، ولكنها بمظهر آخر حرب بدائية لا شيء فيها من الحضارة الديمقراطية والتحديث والعصرنة سوى التكنولوجيا. إن الحرب التي خاضتها الولايات المتحدة، حرب غير نظيفة، على الشعب العراقي، حرب قد فتحت الباب لتدمير مكتسبات الإنسان الثقافية والحضارية. مقابل ماذا؟ مقابل إسقاط نظام كانت الولايات المتحدة هي التي ساندته في حربه مع إيران. إن هذا المثال يقدم صورة دقيقة على أن المثقف العربي اليوم، يعيش عصر الغضب، ودوره ووظيفته اليوم، إن كان مظهرها هو الغضب، فستكون له أدوار ووظائف أخرى. إن كان المثقفون العرب، والكتاب العرب، قد اقتنعوا بأهمية التحليل الموضوعي لوقائع العصر، في مجالات هذا التحليل، أو بتصوير الوقائع، عبر التخييل الأدبي لمأساوية العالم، فإن ثورة ثقافية سوف تحدث، ولن تنطلق من مدينة أو عاصمة عربية أو إفريقية أو أمريكو لاتينية، ولكنها سوف تنطلق من كل المواقع والخرائط العالمية التي يوجد فيها مثقفون ومبدعون يعيشون عصر الغضب. لست مؤهلا لقيادة هذه الثورة الثقافية في كل بلدان العالم التي تعترض على غطرسة النظام الأمريكي ذي القطب الواحد، ولكني أحلم بهذه الثورة، وهي حتما سوف تتحقق، من دول أمريكا اللاتينية إلى دول العالم العربي إلى دول آسيا الوسطى، داعية إلى محاكمة الكذب الأميركي على العالم، متنصلة من هيمنة النظام العالمي الجديد على العالم.

ألم يصبح من المثير للإضحاك والسخرية اليوم، أن يقول أحد عن نفسه إنه يساري؟ ألم يصبح الانتماء إلى اليسار السياسي لكل تنظيماته وأدبياته ورموزه التاريخية تعريضا للانتماء إلى زمن قديم أصبح وكأنه زمن لا ينتمي إلى التاريخ؟ إن الحرب من أجل نشر الديمقراطية في العالم، ليس سوى كذبة سياسية كبرى. فالديمقراطية لا تنتشر بالقوة، وبتغيير نظام بآخر، بل هي سلوك يتجدر في الإنسان، ومن خلاله يتصرف تجاه كل ما يحيط به. أما الغضب فهو حق إنساني، وهو أيضا، رغبة لمثقفي العالم، المنتمين إلى كل الشعوب، في التعبير عن الرفض.

■ **كيف ترى واقع الثقافة العربية اليوم، وأي مستقبل تستشرفه لها؟**

● البحوث والدراسات التي ينشرها مثقفون باحثون عرب، في شتى مجالات المعرفة، تبرهن على أن الثقافة العربية لم تعد مشدودة إلى الماضي، بل أخذت تتفاعل مع روح العصر، وتستفيد من الإنجازات الكبرى التي حققتها العلوم الإنسانية عربياً، لدينا اليوم باحثون لا تقل أهمية إنجازاتهم عما ينجز في الغرب، وفي شتى المجالات. إن معيار دينامية الثقافة هو معيار الانفتاح، وتملك روح العصر، وتجديد الأسئلة القديمة بأسئلة أخرى، وهو ما يصوغ ملامح ثقافة عربية معاصرة. وهي في اعتقادي لا يمكن أن تتغذى إلا بالعقلانية والفكر العلماني.

■ **هل أضاف الأدب العربي شيئا للأدب العالمي؟**

● الإضافة دوما نوعية، لا كمية، وهي ترتبط بالخاص والمتميز والاستثنائي. من هنا يمكن أن نسائل الأدب العربي، الحديث والمعاصر، على ضوء ما أضافه للأدب العالمي. إن هذا الأدب، قد واكب موجات التحديث العالمية، وأنجز من خلال هذه المواكبة فرادته وتميزه الخاص. في راهن الأدب العربي اليوم، لم تعد هناك ضرورة لأن يقلد الجديد القديم باسم الإحياء والبعث، ولم تعد ضرورة أيضا لتقليد نماذج من الأدب الأوربي، بل إن تجدد

الرؤية للكتابة ووظائفها الجمالية ورؤيتها للعالم، قد أصبح دينامية من ديناميات الأدب العربي المعاصر.

الإضافة كما قلت، لا يمكن أن تكون إلا نوعية، ومُفَارِقَة، وفي هذا المسار، نجد أن الأدب العربيَ المعاصر قد تبنى قضايا مجتمعه، وصاغها صوغا أدبيا من خلال الأشكال، وهو باشتغاله على المحلية، وخصوصية المجتمع العربي وفضاءاته ومتخيله الشعبي، وباشتغاله أيضا، على التشكيل الجمالي، قد حقق كثيرا من الإيجابيات التي ترفع من قيمته العالمية. ذلك أن روائيا أو شاعرا أو مسرحيا عربيا لا يمكن أن تقاس إضافته إلى الأدب العالمي بإنجازات كُتّاب ينتمون إلى القارات، ولكنها تقاس بمدى اشتغاله على الخصوصي والمتميز والدال، وتعميق هذا الاشتغال في أعمال أدبية لها عمقها الاجتماعي والتاريخي، ولها بحثها في بناء الأشكال.

■ **هل يمكن الحديث عن قيمة مضافة للكاتب، نظرا لحصوله على جائزة أو منصب حكومي، وما هو تصورك للمناصب والجوائز؟**

● أبدا وعلى الإطلاق. ليست ثمة من علاقة بين المنصب الذي يشغله الكاتب وبين قيمته ككاتب، فقيمة الكاتب تبنيها أعماله ولا شيء سواها. ربما يكون موقع الكاتب الثقافي والسياسي وخبرته في تسيير الشأن العمومي، ومعرفته بالميدان، هي ما يؤهله لتولي منصب من المناصب. أما إنجازاته الخاصة في ميدان الأدب والفن، فتبقى معنية بوجودها الخاص داخل اتجاهات الكتابة والفن وإنجازات هذه الاتجاهات. في فرنسا تعاقب على وزارة الثقافة مفكرون وكتاب بدءاً من فرانسوا مورياك، وفي المغرب تلاحظ معي أن نفس الوزارة، خرج منها شاعر هو محمد الأشعري، ودخلتها فنانة ممثلة هي ثريا جبران. هذا جميل ورائع؛ فتولي كاتب أو مبدع أو فنان لمنصب وزاري يفرح له كل الكتاب والمبدعين والفنانين، بغض النظر عن الحسابات السياسية الضيقة. لكن تولي المنصب لا يضيف أية قيمة أدبية أو إبداعية لصاحبه، لأنه من المفترض أن يكون من تلك القيمة قد جاء إلى المنصب، فضلا عن خبراته في تدبير الشأن الذي يتعلق به ذلك المنصب. أما الجوائز فهي اعتبارية، لها وضعها الرمزي، وحيث تعترف الجهات التي تمنحها بأحقية من ينالها. وهي لا ترفع من قيمة أعمال الكاتب أو المبدع، لأن تلك القيمة متضمنة في تلك الأعمال.

■ **ما هي وجهة نظرك حول اتحادات الكتاب العرب، وتقييمك لدورها؟**

● اتحادات الكتاب العرب، وبالرغم من سعي بعضها للاستقلال عن سياسات الدول التي تنتمي إليها، تبقى في أغلبها - وكالاتحادات الأخرى المهنية (اتحاد المحامين العرب، اتحاد الصيادلة العرب، اتحاد الاقتصاديين العرب..)، وكالدول التي تنتمي إليها-غير قادرة على تفعيل دورها الأساس كاتحادات عربية، والذي يتمثل في خلق تواصل بناء وفعال بين المنتمين إلى تلك الاتحادات، واشتغالهم على القضايا المشتركة، وتشاركهم في التنمية وجودة الإنتاج. العلاقات التي تقوم بين الكتاب العرب، هي مبادرات شخصية في الغالب، لا يؤطرها إطار اتحادي، بل تؤطرها تجارب المشترك الإنساني، وحرقة الاشتغال على الكتابة.

يمكن أن يكون للاتحادات دور محلي يتجلى في إتاحة الفرصة للقاء بين الكتاب وعقد بعض الندوات، ولكن دورها مجتمعة، في إطار اتحاد الكتاب العرب، قد أصبح غير ممكن، نظرا لتعرضها للشتات السياسي العربي.

■ **في العديد من المنابر أصبح يُتداول اصطلاح الأدب المغاربي. فهل يمكن الحديث عن خصوصية تَسِمُ هذا الأدب، عن الأدب العربي؟**

● الأدب المغاربي اليوم، يعرف طفرته التحديثية، كما يعرفها الأدب العربي في المشرق، والأدب المغاربي لا يمكن أن يكون إلا جزءاً من الأدب العربي. لا أقول ذلك، انطلاقا من نزعة عروبية أو قومية، بل أقوله انطلاقا من المرجعية التاريخية للأدب العربي القديم.. ومن الانفتاح على آداب الأمم الأخرى. لقد اختلف الأدب الأندلسي عن الأدب في المشرق، اعتبارا لاختلاف البيئة والمجتمع، ولكنه ظل جزءاً من الأدب العربي.

الأدب الخليجي اليوم، والأدب في السودان، وفي اليمن أو موريتانيا، له خصوصيته المفارقة عما يكتب من أدب في مصر وسوريا ولبنان، وكذلك الأدب المغاربي. الخصوصية تتعلق باشتغال الأدب على موضوعات مجتمعه.. وعلى خصوصية تلك الموضوعات، وطرائق صوغها والتعبير عنها. الجغرافية لها دور كبير في تحديد معالم الأدب وتجاربه. والأدب المغاربي، مع ذلك، ليس كُلاً منسجماً، وإن كان هناك مشترك على مستوى المراحل التي عاشها هذا الأدب. في الرواية المغاربية، وعلى سبيل المثال، نلاحظ أن تشكلها التاريخي قد بدأ مع أعمال تعرضت للوجود الاستعماري والكفاح الوطني من أجل التحرر، وهو ما نجده في كتابات عبد الكريم غلاب ومبارك ربيع في المغرب، ومحمد ديب والطاهر وطار في الجزائر، ومحمد المختار جنات والبشير خريف في تونس. وفي اعتقادي، فإن هذه البلدان المغاربية الثلاثة، المغرب وتونس والجزائر، كانت الأكثر استدعاء، على مستوى أدبها الروائي، لقضايا الاستعمار والتحرر الوطني. وسيلتحق بهذا المشهد الروائي جيل جديد عاش مرحلة الاستقلال وتحولات المجتمع، وتشرب ثقافة جديدة، فاتسعت موضوعات الكتابة الروائية واشتغل الروائيون على بناء الأشكال.

■ **بصدد السرد الأدبي المغاربي، تحضر أسماء كثيرة، وأنا أسألك عن تجارب بعض هذه الأسماء.**

● في المغرب، حضرت أسماء روائيين كعبد الله العروي وأحمد المديني ومحمد برادة والملودي شغموم، وفي الجزائر حضرت أسماء روائيين كجيلالي خلاص ومرزاق بقطاش وواسيني الأعرج، وفي تونس مصطفى الفارسي ومصطفى المدائني وعروسية النالوتي، وكذلك في ليبيا أحمد إبراهيم الفقيه وخليفة حسين مصطفى و ابراهيم الكوني. أما الرواية في موريتانيا فقد ظلت بعيدة عن الحضور الذي ظهر في البلدان المغاربية الأخرى، فلم يُعرف سوى اسم أحمد ولد عبد القادر، وربما أسماء أخرى قليلة. لا يمكنني ذكر كل الأسماء التي أغنت المشهد الروائي المغاربي، لأنها كثيرة وغزيرة، تتجدد بأسماء أخرى. لكن ما أود الإشارة إليه، هو أن لكل روائي عوالمه الخاصة، وطرائقه في الكتابة السردية، وهذا ما يغني المشهد الروائي المغاربي.

■ **ماذا تقول عن أحلام مستغانمي؟**

● عرفتها شاعرة من خلال ديوانها الذي كان قد صدر عن دار الآداب ببيروت، لكن ثلاثيتها الروائية: "ذاكرة الجسد"، "فوضى الحواس" و"عابر سرير" تثير الاهتمام. أشرفت في هذه السنة الجامعية على بحث أنجزه طالب حول "تمثلات الجسد في فوضى الحواس"، عالج فيه حضور الجسد الأنثوي والجسد الاجتماعي والثقافي في الرواية، وعلاقة الجسد بالكتابة، وموقع الجسد من الرغبة.

■ **وواسني الأعرج؟**

● أتاحت لي إحدى المناسبات أن أقرأ أحد عشر رواية من إنتاجه، وخلاصات تلك القراءة، هي التي قدمتها في دراسة نشرت ضمن كتاب نشره اتحاد كتاب المغرب، عن "الأدب المغاربي اليوم". تربطني بواسيني صداقة قديمة ومتجددة. سبق له أن أشرف على بحث جامعي في جامعة الجزائر، حول روايتي "المباءة"، أنجزته الباحثة ليلى

قاسحي. والصداقة التي تربطني به لا تقل حميمية عن صداقتي مع الطاهر وطار، رغم التباين بين الكاتبين الجزائريين. في اعتقادي إن رواية واسيني "المخطوطة الشرقية" هي من أفضل الروايات العربية، التي غامرت باستعادة التاريخ المجهول، وتصنيعه روائيا.

■ وإبراهيم الكوني؟

● روايته "التبر" جعلت منه روائي الصحراء بامتياز، وهو يشترك مع مواطنه أحمد إبراهيم الفقيه في الاشتغال على الصحراء. قبل أن أقرأ "التبر"، كنت قد قرأت "جحور وفئران" ورواية أخرى- نسيت عنوانها الآن- لأحمد إبراهيم الفقيه، إن هذين الروائيين، يشكلان مدخلا جديدا لكتابة رواية عربية جديدة تستمد حداثتها من الاقتراب من عالم الصحراء.

■ وأحمد المديني؟

● أنا وأحمد المديني والميلودي شغموم، وروائيون مغاربة آخرون، أسسنا لكتابة روائية جديدة. بدأت مغامرته الروائية مع روايته "زمن بين الولادة والحلم"، ومغامرتي الروائية، مع "أبراج المدينة"، ومغامرة الميلودي مع "الضلع والجزيرة". لسنا أشباهاً في الكتابة، ولكننا أشباها في هاجس تحديث الكتابة الروائية. كتبت عن الكثير من أعمال أحمد المديني، ولدي مشروع كتاب عن أعماله، خطاطته الأولى تنبني على دراسة تحولات اللغة، وتناسخ الفضاءات، وانفجارية الشكل الروائي، والاستعارة التراثية، وقضايا أخرى.

■ ومحمد عز الدين التازي؟

● يجدر بأعمالي أن يتحدث عنها الآخرون.

■ فاجأت قراءك، وأنت تنشر قصصاً قصيرة جدا، في الفترة الأخيرة، فهل أنت ترى لهذا الجنيس الأدبي قيمة أدبية خاصة، وما هي مواصفاته؟

● أنا أتلذذ بالكتابة، بغض النظر عن انتمائها إلى جنس من الأجناس، أو جنيس كما هو الحال مع القصة القصيرة جدا. وأعتقد أنني لم أفاجيء بنشر قصص قصيرة جدا، في بعض الصحف، سوى أولئك القراء الذين لم يقرأوا مجموعتين قصصيتين ضمتا مع قصص قصيرة جدا، هما "يتعرى القلب" و"شمس سوداء"، والقصص القصيرة جدا، نفسها، التي تضمنتها المجموعتان، كنت قد نشرت أغلبها في جريدة العلم. حقا، إن هذا الجنيس الأدبي، المعروف في الأدب العالمي، قد أصبح اليوم يحظى في المغرب باهتمام كتاب كثيرين، كان من أولهم محمد إبراهيم بوعلو، الذي نشر قصصا قصيرة جدا، تحت عنوان "قصة في دقيقة"، وأحمد زيادي، الذي خاض بدوره الكتابة في هذا المجال. واليوم تحضر أقلام جديدة تسير في اتجاه إغناء هذا الجنيس الأدبي، كما أن الصديق الناقد حميد لحميداني قد احتفى بالتنظير لهذا الجنيس الأدبي. إنه على كثافته الشديدة، واستراقه للحظة المخطوفة من الزمن، ورمزيته، واقترابه من لغة الطفولة والحلم، يبدو صعب التطويع، فالكلمة لها موقعها في الجملة، والإيحاء والرمز، والمفاجأة التي لا يتوقعها القاريء، كلها مدارات للاشتغال على الكتابة في هذا الجنيس. وهو ليس تقليعة أو موضة عصرية، فهو كما قلت، له جذور في الأدب العالمي، ومن أراد أن يستخف به، ليستسهله، فهو كمن يستخفون بقصيدة النثر ويستسهلونها .لهم شأنهم، وللكتابة شأنها.

■ ترى ما هي طقوسك في الكتابة؟

● أنا مواظب على الكتابة، يوميا. أجد فيها عشقي الخاص، وتجددُ عوالمي هو من تجدد عوالمها. أكتب لأربع أو خمس ساعات في اليوم، أو أنقح وأراجع ما أكتب. فيما مضى، كنت أكتب بالقلم، في المقاهي وفي محطة القطار، وسط ضوضاء أغيب عنه فلا أسمعه ، ثم أصبحت أشتغل على الآلة الكاتبة، وهو ما ألزمني بالكتابة في البيت،

وأنا اليوم أشتغل على الحاسوب، في مكتب صغير بالشقة التي مساحتها سبعون مترا، وهي التي أقيم بها. وفيما مضى كنت أدخن كثيرا وأنا أكتب، أما اليوم فأنا مدمن على الشاي الأسود، الذي أُحَلِّيه بسكر قليل. تزعجني الاتصالات الهاتفية وأنا أكتب. ليس في طقوس الكتابة طقس خارجي استثنائي، فطقوسها الداخلية تستبد بي.

■ ممن عاصرت وصادقت من الكتّاب، رحل العديد منهم عن هذا العالم. ما هي ذكرياتك معهم، وما هي الكلمة التي تقولها في حقهم؟

● كما عايشت الكثير من الكتاب الذين ما يزالون على قيد الحياة، أطال الله في أعمارهم، عايشت كتابا رحلوا، واغتنيت بمرافقتهم، والاقتسام معهم، والإصغاء إلى تجاربهم في الحياة، ومواقفهم من العالم وتصوراتهم للكتابة. كتبت عن ذكرياتي معهم، وخصوماتنا التي كانت ملح الطعام، وحبنا للحياة والكتابة. ثلاثة من المغاربة، هم محمد شكري ومحمد زفزاف ومحمد الكغاط، وروائي عربي كبير هو عبد الرحمن منيف، استشففت علاقتي معهم، وحزني على فقدانهم، في نصوص نشرتها في موقعي على الانترنت:

www. Mohamedazeddinetazi. Com

ويمكن الرجوع إلى تفاصيل ما كتبته إلى الموقع، ببوح خاص لقارىء لا يعرف الكثير عن رفقتهم الحميمة، وعن عمقهم الإنساني. لكني لم أكتب عن روائي عراقي كبير، هو صاحب رواية "النخلة والجيران"، وأعمال روائية أخرى، أعني الراحل غائب طعمة فرمان، الذي عايشته، والروائي العراقي المقيم معه في الاتحاد السوفياتي سابقا، برهان الخطيب، صاحب الرواية الجميلة "الجسور الزجاجية". قرأت أعمال غائب بانتباه خاص إلى اشتغاله على مسألة تحطيم الحدود بين الأجناس. لكني تعرفت عليه في مكناس، بمناسبة ندوة كان قد نظمها اتحاد كتاب المغرب في الثمانينيات، ثم أخذته معي إلى بيتي في فاس، وعشنا أياما اختلط فيها الليل بالنهار. وضع حياته كلها أمامي. رحيله من العراق إلى الاتحاد السوفياتي. زواجه من امرأة سلافية. تنكر أولاده له. غربته في المنفى. جراح الذات. ما زالت ذاكرتي تحتفظ للروائي العراقي الكبير بالكثير من التفاصيل. كما لم أكتب عن صداقتي مع الشاعر الراحل أحمد المجاطي، والتي على مرارتها جعلتني أصغي إلى ذاكرة الشاعر وهو يتحدث عن مرحلة فتوته الأولى، أيام جاء من الدار البيضاء إلى الرباط للدراسة في مدارس محمد الخامس. كان والده قَلاَّيَ سمك وفلافل وباذنجان، وكان يزوده بتلك المقليات وبما يكفيه للغذاء لخمسة أيام في الأسبوع. تحدث عن أخته بكثير من الحنان. كان لا يحب الحديث عن أخيه الشاعر مصطفى المعداوي، الذي قتل في حادثة طائرة. عندما جاء الشاعر الشاب أحمد لمسيح - وكان طالبا في كلية الآداب، وقد سجل بحثاً جامعياً لنيل الإجازة حول شعر مصطفى المعداوي - إلى بيت أخيه أحمد المجاطي، لينيره ببعض المعلومات، لم أكن حاضرا، ولكن أحمد أخبرني بأنه صرف الطالب الباحث وقال له ما شأني أنا بأخي؟ مفارقة عجيبة بين أخوين شاعرين أحدهما يحمل اسم مصطفى المعداوي والآخر يحمل اسم أحمد المجاطي، لم أسأل عنها المرحوم أحمد المجاطي، خوفا من غضبه. عاداته في الأكل والشراب وتدخين السيجار والمشي وهو يردد في خاطره بيتاً من الشعر لم يكتمل، وفتحه لدواوين الشعراء العرب القدامى باحثا عن بصيص لغوي.

■ ما هو السؤال الذي لم أطرحه عليك، وكنت تنتظره؟

● هو سؤال الكتابة نفسها، من حيث هي مساحة للحرية، تتحرر فيها المحرمات السياسية والاجتماعية، ومن حيث أنها وطن ليس ككل الأوطان.

حوار مع القاص سعدي صبّاح

طرقنا النجوم بأقلام جزائرية

■ حاورته: جميلة طلباوي *

حوارات

سعدي صبّاح فارس كلمة أصيلة تمتزج بصفاء البراري، وأصالة ابن الأرض، وهموم الإنسان في هذا العالم، ليتحول حبر المعاناة عنده إلى قصص قصيرة تقف عند ثالوث يختصر المأساة: الموت ، الحبّ والكره.

يمضي إبن الجلفة الأصيلة الأستاذ سعدي صبّاح بتمكّن كبير من اللغة في غزل الكلمات، ويدهشنا بأقاصيصه وحكاياه التي استمدّها من واقع كثرت فيه المتناقضات.. وأصبح الإنسان فيه يبحث عن الملاذ و الخلاص.

رجل التربية والتعليم.. يحمل بموهبته الخلاقة رسالة أخرى لا تقلّ نبلاً عن الأولى، إنّها رسالة الكتابة بروح راقية، وفكر عميق، وأسلوب جميل عذب التشويق.

سعدي صبّاح الذي اختير مؤخرا مع مجموعة من الأدباء الجزائريين، من أفضل الكتّاب والنّقاد في العالم لعام ٢٠٠٩م، بإعلانٍ من لجنة تحكيم شعبة الكتّاب والأدباء بمنتدى الصحافة العالمية، هو أديب ينشر أعماله الأدبيّة في جلّ الصحف والمواقع الإلكترونية، ورغم إنتاجه الزاخر الذي نتابعه في هذه المواقع إلا أنّه أصدر حتى الآن مجموعة قصصية واحدة بعنوان "عرس الشيطان"، والتي حازت على المرتبة الأولى بالملتقى الأدبي الوطني بالجلفة لعام ٢٠٠٦م، وترجمت إلى الفرنسية، والانجليزية والرومانية. نسعد بالتحاور معه من خلال هذا اللّقاء لنتعرّف أكثر على تجربته في عالم السّرد، وعلى آرائه في قضايا أدبية.

■ بداية هنيئا لك هذا التتويج بصدور اسمك في قائمة أفضل الكتّاب في العالم.. هل لنا أن نعرف ماذا يعني لك هذا؟

● عندما اطّلعتُ على نبأ مسابقة أفضل الكتاب في العالم بمواقعَ ومجلات إلكترونية، كان الأمر عادياً، ولم أعرف إذا كان ذلك إثر مسابقة عربية أو عالمية، كما أنني لا أدري أين تمّت هذه المسابقة إلا بعد إتصالات الأصدقاء الرقميين والصديقات الرقميات.. سواء من خلال البريد الالكتروني أو غيره، وسارعت الأخت مراسلة إذاعة الجلفة الجهوية بدعوتي

* ناقدة وشاعرة من الجزائر

للاحتفاء بأبناء المدينة المتوَّجين، وتفاعلتُ مع الخبر بعد ما نُشر في موقع الإذاعة، وتناولته أصوات الشمال، وبدأ بعض الأدباء يباركون لي.. لحظتها أحسستُ أنّنا أصبحنا نعني الكثير بنصوصنا ، ففوز الروايات الجزائرية هي الأخرى تعني الكثير ، وأعتقد أننا بهذا نكون قد تيقنّا من ميلاد مهتمّين ومتابعين، يعرفون النصوص دون أصحابها.. منذ سنوات اختارها وترجمها المترجم منير مزيد برومانيا، واليوم رشّحتها الصحافة العالمية لتكون من أفضل النصوص في العالم.. فهذا مكسب و الحمد لله، يعني لنا أن هناك في الخفاء رجالا تثمّن جهود الآخرين دون النظر إلى الزمان والمكان، ولا أعتقد أننا تميّزنا عن الآخرين، فهناك من لم يُنشَر له ولم تُترجَمْ أعماله، لكنه قد أبدع.. وقد كان وراء قتل إبداعه أيضا.. ثم دعيني أبوح لكِ بما يشبه السر.. أنا بهذا التتويج لم أعتبر نفسي بأنني قد وصلتْ، لكنني أعتبره إضافة إلى سيرتي، وتوثيقاً لمجهودي المبذول.. ثمّ اختيار النصوص من بين الكم الهائل للترجمة، وأيضاً اختيار نصوص من قبل الصحافة العالمية، يعني الكثيرْ، وليس لنا يدٌ في هذا الاختيار. ولو كنتُ من بينهم، لرشّحتُ بعض النصوص المغمورة كما قد أشرتُ، أو التي لم تنلْ نصيبها من الترجمة إلى اللغات، لكن في النجوى أعتبره فوزاً للجزائريين و فخراً للأدب الجزائري والعربي على العموم. ويتوجّب علينا الفرح حتى لا أكون سبباً في إجهاض فرحتنا بعد أن ضحّينا من أجلها بأمور أخرى.. يمكن أن تكون على حساب الزوج والأطفال .. فحرام أن نُقزّم هذا الصّنيعَ من قبل جهة بحجم الصحافة العالمية، لأنه يلفت انتباه القارئ على المستوى العالمي، وهذا يكفينا ودون انتظار طرقنا أبواب النجوم بنصوص جزائرية والحمد لله.. وكما تعلمين فالعمل الأدبي يحتاج إلى جهد، ولا يأتي النجاح من سراب. وهذه المبادرة من قبل أهلها جاءت تتويجاً لجهود لم تنتبه إليها مدننا، وأعتقد أنها جاءت مقابل التضحية بصحّتنا وعيوننا تجاه الحاسوب، فأعتذر لرجال الخفاء.. لأنني في البداية قد استقبلتُ الخبر ببرودة، ولم أعره أي اهتمام إلا بعد اتصال المهنّئين بأصوات الشمال، فهم يعرفون أنفسهم، والفرحة بالدرجة الأولى تعني القراء الأوفياء والمعجبين، ونحن بدورنا حرقنا النجيع مقابل زرع المتعة ولا غيرها ، فأبارك مجددا الصحافة العالمية وأشكرها على هذا الصّنيع.

■ **سعدي صبّاح هذا الكاتب المبدع المميّز، نريد أن نتعرّف عليه أكثر.. فماذا تقول لنا عنه؟**

● الفضل يعود إلى مرحلة الطفولة التي تلعب دورا أساساً في تكوين شخصية المبدع، وهذا قبل أن تتواءم الموهبة، وهذا ما كان وراء سعدي صباح إلى أن صرتُ وجهاً أدبيا تفخر به مدينتي. وتطلّعتُ بعد حياة موغلة في الريف، ورحتُ ألملم ما جادت به الطبيعة من الرومانسية المتنافية وواقعية المجتمع ، أعايش الطفولة.. وتسكنني براري ذاك المكان الذي يسمّى الحبيل بمرابعه، حيث تعلّمت في الابتدائية الريفية التي شيّدت من طين، وكانت وراء ولوجي في بعض الخربشات في البداية، ثم إلى رحابة

الكتابة الإبداعية. وعدتُ عودة الظمآن إلى مراتع الصّبا وملاعب الشباب، أتّخذ من زهور البراري مادّة أطرز بها قصصاً رومانسية أو أقصوصة.. إيماناً منّي أن النبات من أروع آيات الله على البسيطة. وكتبتُ أشعاراً شعبية يوم كنتَ لا أعرف للشعر معنى، ثم بعض الخواطر القصصية انطلاقاً من الذاتية، إلى أن خرجتُ منها للولوج في عالم القصة القصيرة مع بداية سنوات الخراب في الجزائر..

وضعتُ الخطوة الأولى في النشر، فاحتضنتني كل الصحف الجزائرية، حين كنتُ ولوعاً ببعض الكتابات التقريرية التي أنجبتها الأزمة وكانت سوداوية، فأردتُ مقابل ذلك أن أُوجد قصصاً بعد أن ماتت الرومانسيَة، وحلّ محلّها الأسى والدمار في ذلك الوقت. بدأتُ أحضرُ الملتقيات على المستوى الوطني كلما وجّهت لي الدعوة، وتطوّرت علاقاتي من خلال أدبي الذي يشبهني. لي إبداعات يعرفها القاريء الجزائري من خلال المهرجانات الوطنية، ومن خلال آليات الإعلام المكتوبة، ويعرفها القاريء العربي من خلال المواقع والمنتديات الالكترونية، أو الكتب الورقية التي ستصدر أو قد صدرت خارج الوطن، عاشق للأسفار، زرت عدة دول عربية، أنا فراشة تتنقل بين المحافل الأدبية.. مثّلتُ الإقليمَ في عدة مهرجانات، ونشّطتُ أمسيات بالجزائر العاصمة، وأخرى من خلال الجزائر عاصمة الثقافة العربية أيضاً.. وما زال سعدي صباح في خدمة الأدب ينشر ويحضر الأعراس الأدبية والمؤتمرات، لأنني الآن عضو اتحاد الكتاب في العالم العربي مع بعض الأدباء العرب. أسس الاتحاد السيد سعد العيمدي وهو شاعر عراقي مقيم في السويد، وذلك من خلال إنشاء مجموعة على الفيسبوك تضم الآن أكثر من (٢٣٠٠) عضوا من مختلف دول العالم، هذا إذا سار القطار.. فدون ذلك أعتبره من عندي جعجعة بدون طحين، لكوني أحب الجدية في كل الأمور، وقد أشار رئيسه المذكور أعلاه قبل الانتخاب بأن الاتحاد مفتوح في وجوه كافة الأدباء والمثقفين والكتاب والفنانين في عالمنا العربي.. ويدافع عن مصالحهم، ويناهض التضييق على الحريات العامة.

■ **مشوار جميل مع القصة القصيرة كلّلته الجوائز والتكريمات.. حدّثنا عن علاقتك بهذا الجنس الأدبي؟**

● لـ (سعدي صبّاح) جوائز جهوية.. لي جائزة وطنية بالسفير ونالت مجموعتي القصصية "عرس الشيطان" المرتبة الأولى، وطبعت على نفقة دار الثقافة بالجلفة، واحتفتْ بها الولاية ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ٢٠٠٧م، ووزّعت على هامش ملتقيات وطنية في الفن والأدب.. كما نالت قصتي "الموت" الجائزة الوطنية في المسابقة الكبرى.. وجائزة القلم الذهبي في مسابقة الشروق. وكرّمت مع مجموعة من أدباء الجزائر على المستوى الوطني من خلال حفل بإشراف مدير الشروق الأستاذ علي فضيل بتاريخ ٤/٢٢/ ٢٠٠٨م.. الجائزة الأولى على هامش ملتقى أدبي بواد سوف من خلال الندوة الثامنة محمد العيد آل خليفة.. ترجمت أعمالي إلى ثلاث لغات: الفرنسية والانجليزية والرومانية من

خلال المترجم منير مزيد/رومانيا، كما نالت أعمالي نصيبها من الكتاب الورقي الثاني الذي سيصدر في إطار مطبوعات شبكة القصة العربية برعاية الأديب السعودي جبير المليحان والمشرفين، نال بعض أعمالي نصيبه في أنطولوجيا القصة العربية، وهذه المرة صدر اسمي ضمن المختارين من قبل منتدى الصحافة العالمية، وبفضل من الله أتوّج كلما شاركت في مسابقة، لكنني لا أتابع الإعلانات عن المسابقات الأدبية، ولم أشارك كثيرا إلا فيما ذكرته لك..

■ **مع تحول كُتّاب القصة القصيرة إلى كتابة الرواية.. ومع إقبال الناشرين والقرّاء أيضا عليها. كيف ترى مستقبل القصة القصيرة؟ وهل نعيش عصر الرواية على حساب الأجناس الأدبية الأخرى؟**

● أنت تعلمين أن الفنون تداخلت.. القصة الطويلة على سبيل المثال والرواية القصيرة "الميني رواية"، فأحيانا أعتبر التسميات في رأيي تسلّطا على الأدب وأجناسه. حقيقة كل مبدع يطمح أن يصل ما وصل إليه يوسف السباعي على سبيل المثال، وغيره من الذين حُوِّلت أعمالهم إلى مسلسلات، وهذا كما قد أشرت لا تطمح إليه "الميني قصة" مثلا التي ظلت تتطور على هامش الرواية. أما القصة القصيرة الطويلة.. فأنا لم أنتقل من القصة إلى الرواية، لكنني أريد أن أفعل ما فعله أبو القصة الجزائرية حوحو، الذي أطلق على أول رواية جزائرية " قصة " واستراح ، فقصّتنا القصيرة قد سافرت بعيداً، وقطعت شوطاً يتوجّب الوقوف عنده، لأنها استطاعت أن تنافس أكثر الفنون، وأعني بنات الخليل بن أحمد، ومن خلال اطّلاعنا على الكتابات اكتشفنا عيبنا، وأعني الخلط بين القصة والقصة القصيرة، والحقيقة أنها تحمل برحمها كل الألوان السردية والحكائية، وهي ذات جذور في الأدب العربي، ومنها قصص القرآن الكريم، وأنها من الفنون الحديثة التي عرفها الأدب العربي، وعصرنا هذا.. وستبقى على حد قول الدكتور عز الدين إسماعيل: "أكثر الأنواع الأدبية رواجاً، لأنها تناسبت مع عصر السرعة، كما استطاعت أن تنال نصيبها بسرعة من الصحف اليومية والمجلات.. وكذا الإذاعة أيضاً".. وتؤكّد آراء المتكلمين أنه لا خوف على القصة من الرواية أو حتى من الفنون الأخرى، لأنها لا محالة تستهوي الناس الذين أخذتهم السرعة، وتلائم عصر الحاسوب.. وعلى هذا الأخير تنافسها القصة الومضة، أو القرص المضغوط.. لما تتوفر عليه من التكثيف وعنصر الدهشة. وأعتقد أن هناك تعايشاً إن صحّ هذا التعبير، والفن فنّ والكل له نصيبه.. فهناك من ينزوي برواية، وآخر يظلّ يقتنص الومضات على الحاسوب، لكن المقروئية محتشمة في هذا العالم الذي يعجّ بالفضائيات.

■ **نشاطك مميّز في الشبكة العنكبوتية. فماذا أضاف العالم الافتراضي إلى تجربتك الإبداعية؟ ألم يؤثّر على إصدار إنتاجك الأدبي في كتب ورقيّة؟**

● عن العالم الافتراضي دعيني أحدّثك.. بفضل العالم الذي ذكرت تُرجمت أعمالي إلى ثلاث لغات، وكانت بفضله ضمن أنطولوجيا القصة العربية.. وبفضله عرفت أدباء كبار

من أقطار عربية، وثمّ بعضهم تكلم عن أعمالي وتفاعل معها.. وبفضله اطّلعت على إبداعات غيري، وتحدثتُ مع بعض النقاد والكتّاب من خلال السكايب والمسنجر والفيس بوك وغيرها.. عرفتُ الأديب سمير الفيل.. ماجدولين الرفاعي.. وتعاملتُ بفضل ذلك مع مراد العمدوني، والأديبة التونسية ضحى بوترعة، والبتول العلوي من فاس، وكثير من الأدباء المحترمين الذين لا يتّسع المقام لذكرهم.. أصبحنا أسرة أدبية على الفيس بوك.. وأنا والحمد لله عرفت كيف أتعامل معها واثق الخطى.. أرفض التعامل بالأسماء المستعارة.. أغضب من الظلم والتجريح وراء أسماء مستعارة.. فأعتبرها حراما وجنايةً على أخلاقيات أديب هذَّب نفسه وأحسن صقلها.. أنا مع الترويج للجودة فلا خوف منه على الأدب.. والذي لا يفسد في الود قضية هو الكلام في النصّ لا في صاحب النصّ.. وهو المطلوب، لكن فيه سلبيات.. يجد المبدع نفسه يجترّ ويكرّر نصّاً واحداً، ويردّ على بعض التعليقات، معتقداً أنه قد أنتجَ.. وفي واقع الأمر هو يدوِّرُ نصّاً واحداً لعدة شهور.. وعليه فالإنتاج أصبحَ محتشماً مقارنة مع زمن ما قبل الإنترنت.

■ **وماذا عن النقد في الجزائر؟**

● النقد إبداع.. وهناك علاقة بين النقد والإبداع، والنقد الذي لا يواكب الحركة الإبداعية مقصّر، وأما الكاتب الذي يضع الناقد أمامه لحظة الكتابة أنصحه بالانسحاب، ومن جملة الأمور التي تجعل النقد عاجزا عن مواكبة الحركة.. عدم تأثر الناقد بالنصّ، كما لا أنكر أن هناك ناقدا حقيقيا.. لكنه أصبح غير محترم على الساحة، فلا أحد في العالم الافتراضي يشعر أنه ليس ناقداً.. ثم الناقد الذي لا يستطيع لفت انتباه القاريء، فهو لا يكتب إلا النقد.. قد تجده يفكّر في الانسحاب بعدما وجدَ نفسه لا يستطيع تغيير العالم، ولا يستطيع تغيير حياة فنان سكنته محنة الكتابة، وعليه يتوجّب أن يكون ككلّ قاريء، إلا إذا أراد أن يحلّلَ ويبدع النصّ من جديد. وقد أشارَ حنا مينه" في تاريخ الأدب إلى أن القواعد والأصول إنما يستخلصها النقاد بدءاً من النتاج الإبداعي نفسه، ولعلّ ما يُكتَبُ هو في أساسه تبيان لاحق لمسألة كيف كتب المبدعون نصّاً، وليس كيف ينبغي أن تكتب القصّة ".. كما أكّد بعض المحلّلين أنه يمكن أن يأتي أدب عظيم دون نقد، ويمكن أن يخرج نقد عظيم دون أدب معاصر له، وبالتالي نجد كلا من الأدب والنقد لـه نهج مستقلّ عن الآخر، فالقصّة نشاط جمالي، أما النقد فللعقل .. وآخرون يقولون: كلما غاب النقد ازداد الأدب هزلاً .. فالكاتب يكتب حتى يتّفق الإثنانْ .

■ **هل نالت كتاباتك حظّها من حبر النقّاد؟**

● لقد تُوِّجتْ بعض أعمالي بمتابعات من نقّاد جزائريين أمثال الأديب والناقد الجزائري منير مزليني، بعنوان متابعات قصص بأصوات أدبية "زوجتي الخشبية ". كما كتبَ الأديب والناقد عيسى شريط عن مجموعتي القصصية "عرس الشيطان" مقدّمة تدخل في عداد ذلك.. وقام الأديب والناقد الجزائري السعيد موفقي

بدراسة حول قصص القاصّ سعدي صباح بعنوان "قصص سعدي صباح فلسفة السفر والحب والموت"، وقد نشرت على الأثر في الجزائر نيوز الجزائرية.. كما نالت مجموعتي القصصية "عرس الشيطان" دراسة تحليلية من قبل الأديبة والناقدة الجزائرية حفيظة طعام بعنوان "إغرائية العناوين في المجموعة القصصية عرس الشيطان لسعدي صبّاح". وقد نشرت بصوت الأحرار وأصوات الشمال وبعض المواقع الأدبية الأخرى، دراسة أخرى من قبل الأديب والناقد المغربي عبد الرزاق جبران، لكنني لم أطّلع عليها، وهناك متابعات نقدية بموقع القصة العربية من قبل أدباء ونقّاد أمثال سمير الفيل.. محمد المهدي السقال من المغرب، وآخرون لا يتّسع المقام لذكرهم.. وبمواقع أخرى. وستنشر هذه الأيام دراسة أخرى بقلم الأديب والناقد الجزائري علاوة كوسة .. وقريباً أيضاً دراسة بقلم الأديبة والناقدة التونسية خيرة أولاد خلف الله، وأكيد ستطّلعين على دراسات أخرى لأعمالي إن شاء الله.. فأشكر كل من خطَّ حرفاً عن كلماتي.. فهي إضافة مهما كان نوعها بالمدح أو الذمّ.

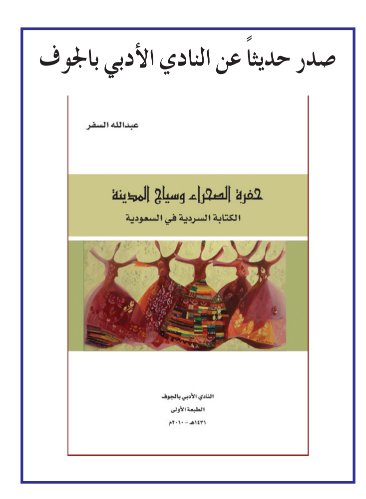
■ **المبدع في حالة قلق دائم بحثاً عن نص مازال يحلم بكتابته، في حالة تأمّل ومراجعة .. ما هي الحالة التي يعيشها سعدي صبّاح هذه الأيام بعد هذه الرحلة الأدبية الجميلة من أجل عطاء يصلنا في الأيام المقبلة إن شاء الله؟**

● بعدَ ترتيب مجموعتي القصصية الثانية "خسوف القمر".. أريد مناقشة بعض الأخطاء التربوية التي عشتها مدّة مشواري في الحقل الأدبي، وهذا عن طريق الفعل الثقافي المتمثّل في قصّة قصيرة طويلة عنوانها "سيدي المدير وأشياء أخرى".. أكشف من خلالها كل ما هو ملفت للانتباه بأسلوب أدبي لا يسقط ماء الوجه.. أتمنى أن تنال نصيبها من الطبع من خلال جائزة مثل مجموعتي القصصية "عرس الشيطان".. ولا يهمني إن كانت قصة قصيرة طويلة أم رواية، فعلى الناقد أن يُصنّفها كما شاء.

■ **كلمة في نهاية هذا اللقاء؟**

● أتمنى لك الأخت المبدعة جميلة طلباوي التوفيقَ والنجاح على جميع الأصعدة، والمزيد من التألّق، لأنّك تتعبين من أجل الكلمة، وأتمنى أنَ يزدهر الأدب العربي في وطني الكبير. وأناشد الجهات والمؤسسات الثقافية بالالتفات إلى الكثير من الأدباء والشعراء المغمورين قصد إخراجهم إلى الأضواء، فهم لا محالة أكثر صدقا وجودة وطيبة وأخلاقا فاضلة.. فقط ينتظرون التشجيع.. وشكراً.

صدر حديثاً عن النادي الأدبي بالجوف



حوارات

حوار مع أ. د. عبد الرحمن حمود العناد

المؤسسات الإعلامية تبحث عن الصحفي "الجاهز"



فشلت في مقاومة حب الإعلام ما دفعني للهروب من جامعة البترول والمعادن

مع أحد أبناء منطقة الجوف وأستاذ الإعلام في جامعة الملك سعود بالرياض. مع الأستاذ الدكتور عبد الرحمن حمود العناد، كان لنا هذا اللقاء الذي تميز بالشفافية والوضوح، وكشف من خلاله الكثيرمن الأمور الهامة في مسيرة حياته الشخصية والعلمية والعملية.

■ حاوره: راكان الفهيقي *

■ ماذا عن طفولتكم ومسيرتكم التعليمية منذ البداية وحتى حصولكم على الدكتوراه؟

● أمضيت طفولتي في مدينة سكاكا بمنطقة الجوف، التحقت خلالها بالمدرسة الشمالية الابتدائية التي تغيّر اسمها فيما بعد إلى "مدرسة فلسطين"، ثم درست المرحلة المتوسطة في "متوسطة صلاح الدين الأيوبي"، ومنها إلى "ثانوية الجوف" لإتمام المرحلة الثانوية فيها حيث تخرجت عام ١٣٩٤ - ١٣٩٥هـ. ونظراً لعدم وجود جامعة في منطقة الجوف، غادرتها إلى المنطقة الشرقية لألتحق بجامعة البترول والمعادن، وكنت ضمن الدفعة الأولى التي قبلتها الجامعة آنذاك من الطلاب المتفوقين في الثانوية العامة. درست فيها فصلاً واحداً أفادني كثيراً في تعلم اللغة الإنجليزية، لكنني لم أكن مرتاحاً في



لم أكن أول المبتعثين لتخصص العلاقات العامة.. لكني أول العائدين إلى المملكة بالدكتوراه

دراستي، وتحديداً في مادتي (الفيزياء والكيمياء)، وكانتا تُدرسان إلى جانب مواد الحاسب الآلي واللغة الإنجليزية ومواد علمية أخرى ضمن البرنامج الإعدادي المتبع في الدراسة بالجامعة، الأمر الذي دفعني إلى تركها وسحب ملفي منها، والالتحاق بجامعة الملك سعود في الرياض مع بداية الفصل الدراسي الثاني، بكلية الآداب - قسم الإعلام، محققاً بذلك رغبتي وطموحي.

■ تُعد من رواد الإعلام المحلي بشهادة الجميع، فأنت المؤسس الفعلي لتخصص "العلاقات العامة"، وأول المتخصصين به.. فما قولك؟

● شخصياً.. أعتبر هذا الأمر مصدر فخر وشهادة أعتز بها من كافة زملائي الإعلاميين في مختلف وسائل إعلامنا السعودي، وسعدت كثيراً أنني كنت ضمن الدفعة الأولى التي تخرجت من تخصص "العلاقات العامة" بقسم "الأعلام"، حيث انحصرت الدراسة قبل ذلك في مجالات "الصحافة والإذاعة والتلفزيون". وجدير بالذكر أن عدد المتخرجين آنذاك لم يتعدَّ أصابع اليدين. وقد كنت ضمن أوائل الطبة الخريجين في هذا التخصص.. ولم أكن أولهم. لكني - ولله الحمد - كنت أول العائدين بشهادة الدكتوراه في هذا التخصص عام ١٤٠٦هـ.

■ عرف عنكم الجلد في البحث وغزارة المشاركات العلمية محلياً ودولياً، كيف استطعتم المزاوجة بين التميز في المجالين، وأعني هنا العمل الإداري والأكاديمي؟

● أحسب أن التميز لدى الفرد لا يتجزأ، لأن المتميزين في المجال الأكاديمي تجدهم في الغالب مبدعين في مجال عملهم الإداري، والعكس صحيح، وليس سراً القول بأنني أجد نفسي أكثر في البحث والمشاركات العلمية والتدريس، وقد أعطيت هذه الأعمال جلّ وقتي وجهدي خلال السنوات الأولى بعد عودتي من الابتعاث، وقد تقدمت للترقية لدرجة أستاذ مشارك بالجامعة بسبعة أبحاث بدلاً من الأربعة المطلوبة لذلك، وقد ساعدتني ظروف العمل الجامعي التي تتطلب قيام عضو هيئة التدريس بأعباء إدارية أخرى، فقد توليت عدداً من المهام الإدارية في اللجان العلمية والإدارية والإشراف الأكاديمي بالجامعة، أعقبها تكليفي بمهام رئاسة قسم الإعلام ثم وكالة كلية الآداب، الأمر الذي جعلني أجد نفسي متنقلاً ما بين العمل الأكاديمي والإداري، وأظنه ليس بالأمر الصعب لدى الكثير في مختلف المجالات، وكنت كذلك حتى وقت مغادرتي الجامعة، وذلك بعد صدور قرار تعييني

بمجلس الشورى السعودي في أوائل عام ١٤٢٢هـ. ولم يمنعني ذلك من تقديم المزيد في مجال البحث والتأليف، أو القيام بأعمال تطوعية، أو تقديم استشارات إعلامية لمختلف الجهات في المجتمع، وقد تكون المسألة في تقديري لا تعدو في جوهرها أن تكون نتاج استثمار وقت الفراغ المتاح للشخص وتنظيمه، وهي الميزة التي نجدها لدى جميع الناجحين والمبدعين في أعمالهم في شتى المجالات.

■ **تشتكي المؤسسات الصحفية والإعلامية المختلفة في البلاد من ضعف المخرجات، وتبرر جامعاتنا باتهام هذه المؤسسات بعدم التعاون معها لتدريب وتأهيل الطلاب.. أين تتوازن المعادلة من وجهة نظركم؟**

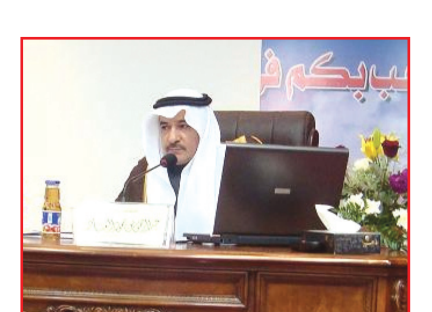
● أعتقد أن الطرفين مقصران في هذا الأمر. فمناهج أقسام الإعلام - إجمالاً - لا تستجيب بشكل دقيق لمتطلبات مزاولة المهن والفنون الإعلامية على اختلافها، فهي تخرج شباباً يملك المعرفة والرغبة والقابلية للتدريب والتعلم على رأس العمل في المجالات الإعلامية المتخصصة - الفنية منها والتحريرية - أي أنها لا تخرج محترفين جاهزين لممارسة فنون الإعلام المختلفة، ولذلك أسباب كثيرة ليس المجال ملائماً لحصرها، وأهمها - في رأيي - طبيعة الدراسات الإعلامية النظرية، وتشعب الفنون التطبيقية التي تحتاجها صناعة الإعلام وتعددها، وإلزام أقسام الإعلام بقبول أعداد كبيرة من الطلاب تفوق بكثير طاقاتها الاستيعابية المثالية، ونقص الكوادر البشرية والمتطلبات الفنية في أقسام الإعلام.. وفي المقابل نجد في الجانب الآخر أن المؤسسات الإعلامية لدينا أيضا مقصرة، لأنها غالباً تنتظر الحصول على الصحفي الجاهز دون أن يكون لديها استعداد لتقديم مزيد من التدريب الجيد لخريجي تخصصات "الإعلام" أو غيرهم. ومن الملاحظ عليها أن العديد منها يتهرب من مسؤوليته، لاعتزامه الإلتزام بعقود عمل رسمية مع الخريجين من الشباب السعودي للعمل بشكل متفرغ ومتخصص في المهنة، لتقوم هذه الجهات على أكتاف المئات من الصحفيين "المتعاونين" الذين يعملون بنظام القطعة أو نظام "الدوام الجزئي" لديها، والسبب أنها تسعى لإنجاز عملها بأقل تكلفة مادية، وبأسهل الطرق الغير ملزمة لها في حال رغبتها التخلص منهم متى شاءت، ولعل من المهم هنا الإشارة إلى أن المعيار المستخدم للحكم على خريجي أقسام الإعلام هو إتقان المهارة في التحرير الصحفي، وهذا الأمر يعتبر خطأ شائعاً ينبغي ألا يستخدم إلا مع خريجي شعبة الصحافة، ولا ينطبق على خريجي تخصصات الإعلام الأخرى.

■ **بعد تعينكم عضواً في مجلس الشورى، هل ما تزال علاقتكم مع العمل الأكاديمي الجامعي مستمرة حتى الآن؟**

● ليس كثيراً، وقد تقتصر علاقتي أكاديمياً في الوقت الحاضر - سواء بجامعة الملك سعود أو الجامعات السعودية الأخرى - على المشاركات العلمية، كالإشراف على الرسائل العلمية في مرحلتي الماجستير أو الدكتوراه، وكذلك التحكيم العلمي لأبحاث أعضاء هيئة التدريس، سواء كانت للنشر في المجلات العلمية، أو الترقيات، إضافة إلى المشاركة في الندوات والمؤتمرات والمحاضرات العلمية التي تعقد في الجامعات السعودية.

■ **لقد ساهم الدكتور العناد بتأسيس "الجمعية السعودية للإعلام والاتصال" كيف ترى تلك التجربة؟**

● جاءت الموافقة على إنشاء الجمعية السعودية للإعلام والاتصال قبل مغادرتي رئاسة قسم الإعلام بجامعة الملك سعود، وقد عملت وقتها مع الزملاء في اللجنة التحضيرية لعقد الاجتماع التأسيسي للجمعية العمومية، وتشرفت أن منحني الزملاء الثقة لإدارة ذلك الاجتماع رغم أنني كنت قد انتقلت تواً كعضوٍ في مجلس



"أدبي الجوف" يمتلك إدارة وكادر إعلامي مميز..

الشورى، وكان الحضور للاجتماع كبيراً، شارك فيه عدد كبير من أساتذة أقسام الإعلام في جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود وجامعة الملك عبد العزيز، بالإضافة إلى عدد كبير من الزملاء العاملين في حقل الإعلام والطلاب، وتم انتخاب أول مجلس إدارة للجمعية، وقد وفق المجلس في دورتيه السابقتين اللتين ترأسهما الزميل الدكتور علي شويل القرني في الانطلاق بالجمعية بسرعة فاقت كل التوقعات، فحققت ما لم تحققه جمعيات أخرى كثيرة، وقد تكرم علي الزملاء في مجلس الإدارة الأول فمنحوني العضوية رقم واحد بالجمعية، وأوكلوا لي مهمة البدء في إصدار مجلة علمية فيها، فتوليت رئاسة تحرير "المجلة العربية للإعلام والاتصال" وهي دورية علمية محكمة تصدرها الجمعية، وما أزال أتولى أمرها مع عدد من الزملاء الأفاضل في هيئة التحرير، والمجلة مستمرة، والجمعية تواصل الآن نجاحاتها في دورتها الثالثة بمجلس إدارة جديد يرأسه الزميل الدكتور فهد الطياش، وأتمنى للجمعية والمجلس الجديد التوفيق والسداد.

■ **تميزتم في عملكم الأكاديمي والبحثي تميزاً كبيراً أثمر عن حصولكم على الثقة الغالية باختياركم لمجلس الشورى. كيف تنظرون إلى هذه التجربة حتى الآن؟**

● بصدق، لقد كان اختياري عضوا لمجلس الشورى السعودي مفاجأة لم تكن متوقعة لدي إطلاقاً، ولم تكن عضوية المجلس أو العمل خارج الجامعة عموماً من تطلعاتي، فلم أكن أتطلع لأي مكان آخر أو أي منصب خارج الجامعة، وكنت أختلف في ذلك عن كثير من الزملاء الذين يعمل بعضهم في الجامعة ويتطلع خارجها، وقد يكون ذلك عيب خاص بي وحدي، ولكنها الحقيقة، حيث أنني كنت أرى نفسي قد خلقت لهذه الجامعة فقط، ففيها تعلمت ومنها تخرجت ولها عدت أستاذا، وفيها وجدت نفسي معلماً وباحثاً وإدارياً.. ومع ذلك فقد كان لاختياري في المجلس أثر كبير في نفسي، فقد اعتبرت الاختيار بمثابة الاعتراف والتقدير لعلمي وعملي، وهو تقدير جاء من قبل القيادة حفظها الله، وهذا يعنى تحملي مسؤولية أكبر تجاه وطني وقيادته، فالثقة السامية التي تشرفت بحملها أمانة كانت وما زالت دافعاً لمزيد من الإخلاص والعطاء لهذا الوطن أينما وجدت وحيثما عملت.. وقد استفدت من مجلس الشورى ما يعادل، وربما ما يفوق استفادتي من الكتب والمحاضرات والبحوث، فكل جلسة من جلساته عبارة عن ندوة تطرح فيها مختلف الآراء التي تثري رأي المستمع وتضيف معلومات إلى معلوماته، ومنه أدركت أن رأيي ليس صائباً دائماً، فبعد الاستماع لآراء الآخرين، كثيراً ما أكتشف بنفسي أنني كنت مخطئاً فيما

استفدت من "الشورى" ما يفوق استفادتي من الكتب والمحاضرات والبحوث الأكاديمية..

رأيت في البداية، ومنه تعلمت احترام الرأي الآخر، وقبول رأي الأغلبية وإن اختلفت معهم، وهو أولاً وأخيراً مجال آخر أجاهد فيه، وأبذل كل ما في وسعي كي أكون مشاركاً مفيداً ومؤثراً فيما يصدر عنه من قرارات.

■ **بدأتم رحلة أخرى من التميز من خلال عملكم في جمعية حقوق الإنسان السعودية كعضو مؤسس.. كيف تنظرون للقضايا التي عملت عليها الجمعية؟**

● عضوية الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان هي أيضاً من الأشياء التي أعتز بها، لأنها أتاحت لي ولزملائي في الجمعية فرصة خدمة الوطن في مجال آخر، وقد أتاح لي الانضمام للجمعية كعضو مؤسس، فرصة تطوير ذاتي وتثقيف نفسي في مجال حديث نسبياً في مجتمعنا، وعملنا من خلال هذه الجمعية الوليدة، وما زلنا نعمل على نشر ثقافة الحقوق في المجتمع، وتوعية الناس لفهم حقوقهم والدفاع عنها والمطالبة بها، وتوعية المسؤولين بتذكيرهم بواجباتهم تجاه المواطنين، وكذلك العاملين بوسائل الإعلام.. ومن جانب آخر، فالجمعية توسعت وأنشأت أربعة فروع لها في أربع مناطق، إضافة إلى المكتب الرئيس في الرياض، ومكتب العاصمة المقدسة. وهي تستقبل - من خلال مكاتبها ومن خلال الهاتف والفاكس والموقع الاليكتروني - مختلف أنواع القضايا والشكاوى من المواطنين والمقيمين، وقد تلقت الجمعية خلال الفترة الماضية ما يزيد على اثني عشر ألف شكوى وتظلم في مختلف نواحي الحياة الأسرية والعمالية والإدارية والقضائية والحقوق المدنية والصحية والتعليمية والسجن والتوقيف وغيرها، والإحصائيات متوفرة حول هذه القضايا في موقع الجمعية على شبكة الانترنت www.nshrsa.org.

■ **من الملاحظ أن عدداً كبيراً من المنتمين للمجتمع الأكاديمي ينتهي تواصلهم بانتهاء فترة العمل في جامعاتهم لتكون هذه العلاقة لا تتجاوز "حرف الدال" كيف تنظرون إلى هذه "الظاهرة"؟.**

● بالنسبة لي شخصياً أرجح بروز هذه الظاهرة لأسباب مختلفة أعتقد أن أهمها سببين: أولهما جاء نتيجة الأنظمة واللوائح المعمول بها حالياً في جامعاتنا التي تنظم العلاقة بين الطرفين، خصوصا بعد بلوغ عضو هيئة التدريس سن التقاعد، أو طلبه التقاعد المبكر، أو حتى بعد الانتقال للعمل في مكان آخر، فهذه اللوائح لا تشجع - للأسف - على مزيد من التواصل، وهي بحاجة ماسة للمراجعة والتعديل لتزول حالة الفتور، ويسود الود هذه العلاقة. أما السبب الثاني - وهو ما قد نجده لدى نسبة ليست قليلة لهذه الشريحة - فيتمثل بعدم الرغبة أو القدرة على التواصل مع الجامعة لأسباب متعددة منها كثرة الأعباء، أو الارتباطات العملية الأخرى التي يكون قد التزم بها عضو هيئة التدريس خارج الجامعة بعد تركها.. ومع ذلك، فمن المفترض أن علاقة الأكاديمي بتخصصه يجب ألا تنقطع أو تنتهي بانتهاء علاقته الوظيفية بالجامعة، فالعلاقة بالتخصص ليست علاقة وظيفية، وهي تتطلب الاستمرار في الأخذ والعطاء من خلال القنوات العلمية المتعددة، لأن التوقف يعني جمود الشخص وتخلفه في مجاله، ومهما حالت الظروف العملية دون الارتباط الوظيفي أو

تناقل وكالات الأنباء العالمية لمحاضرتي بالجوف دليل على نجاح مستضيفيها عن غيرهم..

العملي بالجامعة، فإن العلاقة بالتخصص ينبغي أن تستمر وتتطور من خلال القراءة والإطلاع والبحث والتأليف والمؤتمرات والندوات والمجلات العملية، والتحكيم العلمي، والإشراف على رسائل الدراسات العليا ومناقشتها، والمشاركات الفاعلة في الجمعيات العلمية في التخصص، وغير ذلك من نشاطات علمية تخلو من الروابط الوظيفية، ولكنها تبقى على روابط الأكاديميين بمجالاتهم وتخصصاتهم.

■ **درستم في جامعتين أمريكيتين عريقتين مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وقد اطلعتم على الإصدارات والبرامج الإعلامية التي يعدها ويقدمها الطلاب للصحافة والتلفزيون والإذاعة، ويديرونها بشكل كامل في تلك الجامعات. متى تتوقعون أن نرى ذلك في جامعاتنا السعودية؟**

● أتوقع ذلك - بحول الله - قريباً، لاسيما مع ما تشهده البلاد حالياً من توسع كبير لأعداد الجامعات التي وجدت كامل الدعم والرعاية الكبيرة من قبل حكومتنا الرشيدة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني -حفظهم الله تعالى- وأتوقع أن نرى المزيد لدينا، وقد نتجاوز ذلك بمراحل خلال المستقبل القريب، لاسيما في ظل توفر الإمكانات الفنية والبشرية اللازمة في أقسام الإعلام بالجامعات السعودية، وما تشهده من تطور في الجانب التطبيقي والنظري بأقسام الإعلام، وربما كان لدينا في الفترة الماضية تجارب ممتازة في هذا المجال.

■ **قد لا يعلم الكثير أن لك مساهمة فاعلة في تطوير العمل الإداري في نادي النصر السعودي.. نود أن نتعرف على هذه التجربة؟**

● جاء انضمامي لعضوية مجلس إدارة نادي النصر بسبب علاقات شخصية، وطلبات أعضاء الشرف حينها، خصوصا من رئيس النادي الراحل الأمير عبد الرحمن بن سعود - رحمه الله -، والذي كان وقتها مهتما بتطوير العلاقات العامة بالنادي، والعمل على تفعيل النشاط الثقافي والاجتماعي فيه، ولقد أوكل هذه المهمة لي ولزميلي الدكتور عبد الرحمن العتيبي الذي أقنعته بمرافقتي بعضوية مجلس الإدارة خلال تلك الدورة، وكانت تلك التجربة - ولله الحمد - مثمرة للغاية، كما أنها كانت مفيدة كثيراً بالنسبة لي شخصيا، فقد تعرفت على واقع الأندية الرياضية لدينا من الداخل، وقد عملنا جاهدين خلال تلك الفترة على تطوير علاقات النادي بجماهيره من أعضاء الشرف والمشجعين، كما أنشأنا بالنادي وحدة للعلاقات العامة، والتي تبعها كذلك تنظيم عدد كبير من الفعاليات الثقافية لمختلف شرائح المجتمع كالمحاضرات والندوات والمسرحيات الهادفة ومعارض الكتب وغيرها من الأنشطة التي لم تكن شائعة في ذلك الوقت بالأندية، وكان لمبادرة نادي النصر هذه أثر إيجابي في تحريك الأندية الأخرى وخاصة الهلال والشباب اللذين حاولا مجاراة نادي النصر في مثل هذه الأنشطة، وقد استمرت علاقتي بالنادي كعضو شرف منذ ذلك الوقت، ومن الملاحظ أن الأندية عموما تهمل في الوقت الحاضر الجوانب الثقافية، وفي ذلك تهميش لدورها التربوي، إذ تركز حالياً على الجانب البدني الرياضي

وتغفل الدور الكبير الذي يمكن أن تؤديه الأندية في المجالات التربوية والثقافية.. وقد يكون من أسباب ذلك انتقال قطاع الثقافة من الرئاسة العامة لرعاية الشباب إلى وزارة الثقافة والإعلام، ولا أعرف من يشرف على الجوانب الثقافية في الأندية في الوقت الحاضر، أهي الرئاسة العامة أم وزارة الثقافة والإعلام!

■ قبل أشهر، زرتم منطقة الجوف، وألقيتم فيها محاضرة عن "حرية التعبير في المملكة" وكان لتلك المحاضرة أصداء واسعة لدرجة أن وكالات الأنباء العالمية تناقلتها. ما تعليقكم على ذلك؟

● نعم، لقد تشرفت بدعوة من الأستاذ إبراهيم بن موسى الحميد رئيس مجلس إدارة النادي الأدبي في منطقة الجوف التي أعتز بكوني أحد أبنائها، وأقيمت الندوة في مدينة سكاكا، وكان الحضور كبيراً، لدرجة أن القاعة المخصصة للمحاضرة ضاقت بالحضور، وعلمت أن الكثير قد عاد لعدم وجود مكان له، وهذا دليل على قرب النادي من المجتمع الذي يتفاعل مع النشاطات التي يقيمها. تحدثت من خلال المحاضرة عن العديد من النقاط التي تتعلق بحرية التعبير للفرد في السعودية، وكان ذلك نتاج دراسات وأبحاث قمت بها أنا وعدد من المهتمين في هذا المجال، وكانت مداخلات الحضور رائعة لاسيما الأسئلة الموجهة من السيدات في القسم النسائي، والتي بصدق كان لها وقع كبير في نفسي، فعندما تأتي أسئلة ذات عمق وطرح متزن من بنات الوطن، إنما تدل في مجملها على الوعي الكبير الذي تتمتع به أخواتنا وبناتنا من خلال تفاعلهن مع مجتمعهن. وكما قلتَ فقد لاقت المحاضرة نجاحاً كبيراً وبروزاً إعلاميا على المستويين المحلي والعالمي، وهذه نقطة إيجابية تحسب لإدارة النادي الأدبي في منطقة الجوف، الذي أجزم أن لديه قيادة وفريقاً إعلامياً حقق نجاحات كبيرة في هذا المجال، تفوق فيها على غيره في المدن السعودية الكبرى، وهذا ليس مجاملة، بل واقع تجربة ومتابعة شخصية لأعمال النادي الذي تميز بالتنظيم الرائع لأنشطته، والتغطية الإعلامية المميزة التي تجعل مختلف وسائل الإعلام تتسابق لطرحها وإفرادها على صدر صفحاتها الأولى، وقد لا تكون محاضرتي هي الأولى والأخيرة التي تناقلتها وسائل الإعلام العالمية، فقد تناقلت بعدها محاضرة د. مرزوق بن تنباك التي أقامها النادي في القريات، والحال ذاته مع محاضرة البروفسور زغلول النجار المقامة في مدينة سكاكا.

■ هل من مواقف طريفة ما زالت ذاكرتك تعيشها؟

● كثيرة هي المواقف الطريفة، ولكن المرء لا يتذكر إلا القليل منها، وما يحضرني في هذه اللحظة وله ارتباط بأحد أسئلتك السابقة أنني كنت والدكتور العتيبي قد استقطبنا شاباً سعودياً حديث التخرج للعمل في وحدة العلاقات العامة الجديدة بنادي النصر، وهو شاب "نصراوي" الميول، بل يمكن القول أنه من "المتعصبين" في تشجيع النادي، وبدأ ذلك الشاب العمل بحماس منقطع النظير، وبعد أسبوع سألني أبو خالد - رحمه الله -، بلهجة فيها عتب كبير، السؤال التالي: "ما لقيت يا دكتور في هالبلد إلا هذا للعمل في نادي النصر؟؟ "

قلت: خير يا أبو خالد؟ الشاب ممتاز ويشتغل بحماس وهو "نصراوي".

فقال: "المشكلة اسمه لو يغيره بس!"

وكان اسم ذلك الشاب "هلال العتيبي"!!

■ هل من كلمة أخيرة؟

● أشكركم على هذا الحوار، كما يسرني حقيقة أن أشيد بالتطور الكبير الذي تشهده منطقة الجوف بقيادة الأمير فهد بن بدر بن عبد العزيز أمير المنطقة والدور الكبير الذي يقوم به نادي الجوف الأدبي فيها.

أقواس



الغزل في شعر المتنبي..

■ نورا العلي *

المتنبي شاعر الحب والحرب، خاض غمار موضوعات شتى في شعره، وأهم ما تميز به مديح الحكام والخلفاء، وأفضل شعره ما كان في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك، كان مقلاً في الغزل لطموحه إلى منزلة كبيرة في الدولة.. فشغله ذلك عن أشياء كثيرة، إلا أنه سطّر أبياتاً في الحب تقطع نياط القلب، وتهيّج الشجن والحزن.

يمتاز غزله بدقة التصوير، ورهافة الحس، وشدة الوجد والصبابة، فحينما يكتب عن الفراق ولوعته يكاد يبرهن على أنه شاعر غزل وباحتراف. فكم من الأبيات الغزلية التي كتبها حاكت أحوال العشاق، وشاكلت لوعاتهم جراء الفراق، يصف حالته في أحد أبياته بأن العشق أضنى جسده، وفي نفس الوقت ينذر كل من تسول له نفسه دخول عالم العشاق، أو يظن أنه سهل، فيقول:

فمن شاء فلينظر إليّ فمنظري   نذير إلى من ظن أن الهوى سهل

ويقول في بيت آخر كن دائما على حذر ولا تأمن النظر، فكم نظرة أورثت هما وكمدا .. حتى وإن كانت عفوية غير مقصودة، فيقول:

لهوى النفــوس سريـرةُ لا تُعلَمُ   عرضاً نظرتُ ، وخِلتُ أنّي أسـلمُ

وفي بيت آخر يحمّل نفسه وزر ومغبة النظر حين يقول:

وأنا الذي اجتلب المنيــة طرفه   فمن المطالـب والقتيـل القاتـل

كما يحذر من الهوى، وأن لا يغتر أحد بلذته، فيقول:

ضنىً في الهوى كالسم في الشهد كامنا
لذذت به جهــلا وفي اللذة الحتف

ويذكر أن الجنون في العشق حدث وارد.. وما هي إلا مسألة وقت فيقول:

وما هي إلا لحظـة بعد لحظـة   إذا نزلت في قلبـه رحل العقل

* كاتبة من السعودية/القريات

ويوضح سبب الشقاء والعناء اللذين يعتريان العشاق، فكيف لهم أن يحيوا حياة هانئة وقد فقدوا أحد أعضائهم، وسلبهم إياه المحبوب بقصد أو دون قصد فيقول:

ومن لبه مع غيره كــيف حاله ... ومن سره في جفنه كيف يكتم

وأشد ما يؤلم العشاق الجفاء والصد من المحبوب، وحينما يصل الحب إلى ذروته.. فلا يطيق العاشق بعداً ولا يقوى صبرا، فتصبح الحياة كئيبة.. وتتبدل أحوالها، وكل حلاوة تنقلب علقما مر المذاق فيقول:

وإذا سحابة صد حــب أبرقت ... تركــت حلاوة كل حب علقمــا

ويصف خفقان قلبه ونار أشواقه الملتهبة جراء البعد والصدود فيقول:

وخفــوق قلب لو رأيــت لهيبه ... يا جنتي لظننــت فيــه جهنما

ويستعطف الحبيبة، بل يتذلل لها، لأنه يرى في ذلك لزوم العشق فيقول:

تذلل لها واخضع على القرب والنوى ... فما عاشق من لا يــذل ويخضــع

ويصف دلالها كما يقال: (عين الرضى عن كل عيب كليلة) فيقول:

وأرى تدللكِ الكثيــر محببــاً ... وأرى قليــلَ تدلــلٍ مملــولا

ويعاتبها في لين وهوادة حين يقول:

أي يـــوم سررتنـــي بوصـــال ... لم ترعنـــي ثلاثـــة بصـــدود

ويستطرد في شعره ويذهب إلى العهود والوعود التي ينتظرها بفارغ الصبر ويعود منها بخفي حنين فيقول:

اليـــوم عهدكم فأين الموعـــدُ ... هيهات، ليس ليوم عهدكم غــدُ

ويصور اللقاء حينما تلوح تباشيره، حيث تطوى مسافات البعد ويغيب الرقيب، فيبكي لشدة الوجد وفرحة الوصل، ومحبوبته على العكس حيث تتيه زهواً ودلالاً فيقول:

ولما التقينــا، والنوى، ورقيبنـا ... غفــولان عنا، ظلــت أبكــي وتبسم
فلم أرَ بدرا ضاحكا قبل وجهها ... ولــم ترَ قبلــي ميّتــا يتــكلّم

ويصف بهاءها وجمالها عند اللقاء فيقول:

نشرت ثـــلاث ذوائب من شعرهــــا ... في ليلـــــة ، فأرت ليالي أربعـا
واستقبلت قمــر السمــاءِ بوجههـــا ... فأرتنيَ القمرين في وقتٍ معـــا

ويصف حاله معها حيث تقابله بضد ما يريد فيقول:

أنأيتــه فدنـــا، أدنيتـــــه فنـــأى ... جشـــمتـــه فنبا، قبّـلته فأبـــى

ويستعطفها بقوله:

بما بجفنيك من سحر صلي دنفاً ... يهوى الحياة وأما إن صددت فلا
يحن شوقـــــا، فلولا أن رائــحة ... تزوره من رياح الشرق ما عقـــلا

ويصف هيامه وولعه حينما تنتهي لحظات اللقاء، وتخبره أنْ لا أمل في لقاء قريب، فيقف مشدوها بعدها، ويعيش في عالم الخيال والأحلام، فيتخيلها ماثلة أمامه فيقول:

مُمَثّلةٌ حتــى كـأن لم تفــارقي ... وحتى كأن اليأس من وصلك الوعد
وحتى تكادي تمسحين مدامعي ... ويعبق فــي ثـــوبي من ريحك الّنـدُ

• أعتقد أن ما حدث للمتنبي هو من جراء تهكمه وسخريته بالعشاق.. وباعترافه، حيث يؤكد على صدق المقولة (لا تشمت بأخيك، فيعافيه الله ويبتليك).. وكيف لا وهو القائل:

وعذلت أهل العشق حتى ذقته ... فعجبت كيف يموت من لا يعشقُ
وعذرتهم وعرفــت ذنبي أنني ... عيّـرتهم، فلقيـت منـهُ ما لقـــوا

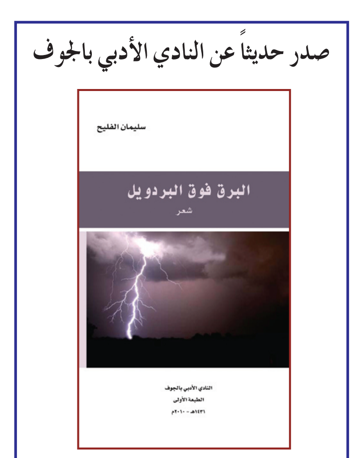
ثم يبدي رأيه في الحب قائلا..

الحب ما منـــع الكلام الألسـنا
وألذّ شـــكوى عاشق ما أعلنـــا

■ آخر الكلام

وَاَ حـــرّ قلبـاهُ ممن قلبـــهُ شَبِـمُ
ومن بجسـمي وحالي عنده سقَمُ

صدر حديثاً عن النادي الأدبي بالجوف



أقواس

القدس في عيون حموية..

■ لما عبد الله كريجها *

القدس معلم من معالم العروبة والإسلام، ومدينة مقدسة عند كل الأديان السماوية، وقد نكبت الأمة العربية والإسلامية والمسيحية فيها، فاحتلت من قبل الصهاينة صناع الحروب والإرهاب في العالم. وكانت الكارثة التاريخية التي حفرت وعمقت في وجدان وروح الشعب العربي. وقد ظهر ذلك على ألسنة الأدباء والشعراء، وأعمال الفنانين تصويراً صادقاً لعاطفة خلقها هول هذه المأساة، كما كثرت وتعددت أبعاد صورة القدس في كل عمل إبداعي وبكل ما يتواصل وجداناً وفكراً مع هذه الكارثة ماض وحاضر ومستقبلا.

اليوم أردت أن أدخل عالم القدس الشعري، أردت أن أراها من خلال عيون شعراء حماة ، فكانت لي الحوارات التالية مع عدد من شعرائها، وكانت البداية مع الشاعر محمد عنان قيطاز الذي قال لي:

فلسطين هي الجرح النازف دائماً في شعرنا

فلسطين والقدس في شعري.. ونحن شعراء حماة من أكثر الناس إحساساً بالقضايا الوطنية والقومية، وتعد فلسطين الجرح النازف دائماً في شعرنا، فلا تخلو قصيدة وطنية من ذكرها.. وقصيدتي "لن تركع القدس" مشهورة ومعروفة.

■ القدس في شعر محمد عدنان قيطاز جرح أورق وأزهر، جرح يروي قصته التي يعرفها الجميع، ولكن دون أدنى فائدة.. فشهوة الكفاح هرمت.. والميادين أقفرت من رداء الشموخ. كما أن الثورة عارمة في شعره، ثورة يحاول إشعالها في روح كل عربي، محاولاً تحريك الكرامة.. ومنادياً بالوحدة والنضال والتحرر من عقدة الخوف والجوع، مذكراً بأمجاد الأجداد، ورافضاً بشدة الحال الراهنة للعرب، أيضاً القدس في شعره شامخة لن تركع أبداً.. وكل عار أصاب الأرض العربية سيمحوه دم أبنائها الأبطال.

يقول في قصيدته "لن تركع القدس"

لا وحق الفداء .. لن تــركـع القدس ..	ولـــــــن يستلين حــدُّ المجـزرْ
لن تموت الحقـــوق إن كنت سيفاً	عربيَّ المضـــاء في الساح مُشْهَرْ
أبداً لن تموت.. يـــا أرض ميـدي	فلقد جـــاءك الأعـــزُّ الأكثــرْ
الدم الحـــــرُّ لم يـــزل يتلظــى	ولنحنُ الوقـــود في كل مِجْمَــرْ
ولنحـــــنُ الأساة إن عـــــزّ آس	لا سوانـــــا بنبلـــه يتــــدثّــرْ
ولنـــا في ملاعب المجـــد سَبْحٌ	سائلوها.. تجبْ إذا الفجر أسفرْ

* كاتبة من سوريا

مـن قـديـم الزمــان كنــا.. ومـازلـنـــــا.. وتـبــــــاً لـحــــــاقــــد إن زوّرْ
كلّ عــار في أرضنـــا هو رجسٌ سوف نمحوه بالنجيع الأحمــرْ

شغفتني زهرة المدائن حباً

■ فلسطين والقدس في شعر غازي فيصل الخطاب حزنٌ يتفطر له القلب على هذا الزمن القاتم، وعلى ضياع الأقصى، و صيحة مخنوقة تندد بالتخاذل والخوف وثياب الذل والعجز التي لبسها الجمر المكابر حتى نسي ثأره. صيحة ترفض القعود عن نصرة المقاومين، وتشيد بالبطولات الفردية والجماعية، وترثي الشهداء لتشعل نار الحزن والغضب.. فتتحطم الأغلال، وترتفع آيات البشائر.. فالفجر لابد آت.. وإن كان بعد ليل طويل.

يقول في قصيدة "صيحة"

صحتُ لم أسمع أنا صوتي وما أيقظتُ أحزان المجامرْ
رجم الخوف قلوب الناس فارتاعت
ولم ينهب صحارى البين ناصرْ
رجعتْ ميسون تبكي...
لم تجد بعلاً يجيد الموت في سوق الضفائر
أيها المنسيّ يا شوك الصحارى
أيها المصلوب في جذع المعابر
حطمّ الأغلال واحمل جلدك المسلوخَ
واغزلْ
من لهيب الدمع آيات البشائرْ
خُطّ فوق الصفحة الأولى من الفجر نشيداً
يضرم النار في ليل العشائر

وقد تعددت قصائده المعبرة عن هول مأساة فلسطين وقدسها الشريف، وسكنت كل دواوينه الشعرية ومنها: "سداسية القهر والموت"، "صيحة"، "الشهيدة الطفلة إيمان حجو"، "المولود السجين وائل"، "جنين المأساة والبطولة"، "على أكناف مسرى أحمد".

حينما سألت الشاعر غازي الخطاب عن مكانة القدس منه ومن شعره قال لي:

أنا كغيري من شعراء حماة، شغفتني زهرة المدائن حباً، وأذكت في دفاتر أشعاري نار الحزن والغضب.. وظلت هاجس بياني.

من قصيدة "على أكناف مسرى أحمد" اخترت هذه الأبيات:

قلبي على الأقصى سحائب لهفـةٍ عزّتْ علـى حسّي وشرح معاجمــي
سكنـتْ ندى روحــي وحبرَ مواجع ودمـوع أيامـــــي ونَوْح حمائمـــي

أقواس

واللــــه كـــلّ مصيبـــة فتـاكــة — جللٌ إذا قيست بمسرى الهاشمـــي
هم ضيّعوا الأقصى فخطبٌ داهمٌ — يجري على آثـــــار خطب داهــــم
الشمس جزّت شعرها انطفأت كما — انطفـــأت من الذلّ المحضّ عزائمي
ستـــون عـامـاً جرّعتنـــي علقماً — ورمـــت عـيونـــي في أتـون مآتــم
وأنـــا وآمـالـــي وكـــلّ أحبتـــي — مِزَقٌ على مـــوج الردى المتـلاطم
وأنا وتـــاريخي وضـوء مآذنـــي — في كفّ سفّـاح الخليــل الآثــم

هل هناك منقذ؟!..هل ننتظر منقذاً؟!..

■ حدثني الشاعر عبد الوهاب الشيخ خليل الشعراني عن ذكرياته في مدينة القدس، وأخبرني عن حاراتها القديمة والكبيرة التي تشبه حارات حماة القديمة، وهو الذي أمضى فترة من شبابه متنقلاً بين مدن فلسطين وقال لي:

- القدس وصلت لوضع يهين الأمة العربية والإسلامية إهانة صريحة صارخة. والسؤال الذي يلح على الإنسان هو : هل هناك من منقذ؟!..هل ننتظر منقذاً؟!.. الجواب في ضمير الزمن.

■ القدس في شعر عبد الوهاب الشيخ خليل الشعراني جرحٌ وصل سويداء القلب، جرحٌ يبتل بماء الوجد والشوق للوصال، وتنديدٌ بوضع جعلنا نفقد الإحساس بالعيب أمام ضياع الأوطان، وإهانة مسرى الرسول ﷺ، وتمادي العدو اللئيم.. محاولاً إيقاظ الشعوب والغيارى لحماية تاريخهم، وإعادة الحياة إلى دمائهم، وإذابة جليده بثأر الدم حين يغلي في النفوس مستنجداً بالمسلمين في كل مكان، ومتفائلاً بأطفال سيغدون رجالاً.. يجعلون من النصر والصمود مبدأ لإنقاذ القدس.. قبلة المسلمين التي من المستحيل أن تبقى تحت الاحتلال، منادياً بالوحدة لتحريرها.. وجعل يوم النصر عيداً.. يقول في قصيدته "إنها القدس":

أيها المسلمـــــون في كـــلِ مصــــر — هل نسيتم على الخنـوع النّهــــودا
فالعــــذارى أمسين في القدس نهبا — لذئـــــــاب ينهشن صدراً وجيـــــدا
والعــــــذارى لدى العلـــوج سبايـــا — يستغثن المقــــدام والصنديـــــدا
إنهـــا القـــــدس يا لعــــارٍ عظيم — يصم الجــــدّ بالخنا والحفيـــدا
إنها القـــــدس هل سمعتم نداها؟ — هل شهدتــــم مصابها المشهـــودا؟
كلّ يــــــوم مذلـــــةٌ واعتـــــداء — يهتــــك العرض أو يهين المجيـــدا
كل يــــــوم مسرى الرسول مهـــان — إن مسرى الرسول أضحى طريـــدا

آثار القدس في قصائدي كأثر القلب في حياة الجسد

■ عندما قرأت شعر رابعة الكيلاني، تجلت لي صور المقاومة الشريفة، وارتفعت صورة القدس بين الصور بهالتها القدسية النورانية.. ترافقها أحلام وآمال محتضرة، تنتظر صحوة تشعل الدم في العروق أمام مقتل الأطفال، وكل ما يحدث

من ظلم وذل وعدوان، بعد أن تهاون القوم عن نصرتها، ومع ذلك فالشاعرة ترى أن الصبح لابد قادم.. ترسمه حجارة الأطفال.

- قلت لها:

قرأت ظلم الاحتلال في قصائدك، وكانت فلسطين جرحك النازف، ومع ذلك بهرت بصورة القدس ترتفع لتسكن شغاف القلب. إن سألتك - هنا - عن مكانة القدس في شعرك فبم تجيبينني؟

- مكانة القدس في قصائدي مكانة القلب في الجسد، فأنت لا ترين القلب بالنظر إلى الجسد، لكنك موقنة بوجوده بدلائل نبض الحياة فيه.. وهكذا ترين آثار القدس في قصائدي كأثر القلب في الحياة.. وقد أسدى لها العدوان الصهيوني خدمة من حيث لا يريد؛ فأسكنها بجنون وحشيته قلوب الأحرار.. كل الأحرار في هذا العالم على اختلاف معتقداتهم.. ولا يردّ أولئك الأحرار عن الهبوب لنصرتها غير انقسام أهلها واختلافهم.

أمنياتنا لهذا الليل أن ينجلي، ليهب كل محبي القدس لنصرتها كما يجب.. ولتعود الحياة - حقيقة الحياة - إلى قلب الدنيا الذي يجعلها تنبض حقاً بالحياة لأرى تحلة قسمي.

تقول الشاعرة في قصيدتها "قسم"

أقسمت بالنـور من عينـيـك ينهمـر — والروح في الكف والأحلام والحجر
ومــا حوى الليــل من لألئ بارقـة — ترنو إلى القدس والآمال تحتضـر
أقسمت بالصبـــح لا يـرجى له بلجٌ — إما صحى القوم من وعد به سكروا
وبالـدم السمح لا يــرجى لـه بــدلٌ — إلا سرى القدس فواحاً بــه القدر
بقبـــة المسجد الأقصى، بساحتــه — بمقتل الطفل لم يحفل به البَطِرُ
إني أرى الصبح يرقى من حجـــارتهم — ليملأ الكـــون حباً قـد له نُــذروا

ولاءنا للقدس ولاء عقائدي وانتسابنا لها مصيري

■ "نخوة الأقصى"،"ترنيمة في محراب القدس"، "إلى الشاعر الفلسطيني"، "قراءة في مدائن الثورة".. وعناوين كثيرة لقصائد عديدة سكنتها فلسطين وتجلت فيها القدس بأبهى حللها عروساً للنور والنار، عروساً بثوب أبيض طاهر ودم أحمر نازف، يرفض الاحتلال ويدعو لإشعال نار الثورة والكرامة.. وإيقاظ النيام؛ مذكراً بأبطالنا وتاريخنا العربي العريق، رفضاً للتفرقة.. ولواقع العرب الحالي.. وحلماً بالوحدة، وإيماناً بدور الشعوب ووقوفها في وجه نيرون كل زمان.

هكذا تجلت القدس في شعر حسان عربش.. وهو الذي حدثني عن مكانتها في قلبه وروحه وقصائده قائلاً:

- إنها القدس يرسمها نبض القلب، غمامة تهطل بالنور والحب، عاصمة الشهادة والشهداء، تتوزع عشقاً وياسميناً ونضالاً على خارطة قصائدي، نذرت لها

أعذب ما في الروح من عنفوان فهي بوصلة العرب المؤمنين إليها تومىء القلوب.

هنا قـــدس القلـــوب ترفُّ سحـــراً ... فليـس لشمسِ عزّتهـــا مغيـــبُ
إذا الفـــاروق كان لهـــا عمـــادا ... فإنّ صـلاحهـــا البطـلُ المهيـــبُ
تدافـــعُ عــن عروبتهـــا الغيـــارى ... ولو هطلتْ بساحتهـــا الخطـوبُ
رجـــــــالٌ من أعاصيـــرِ المنايـا ... على قلـب العـــداةِ لهـــا هـبوبُ

من قصيدة "نخوة الأقصى":

ما هم كم قبض الـردى مـن وردنـــا ... وشبابنـــا مـــهر البــــلاد ثمـــينُ
دمنـــا نـشيـد الأرض والـتـــاريخ ... يسرج خيلــه من هاهنا المأمـــونُ
هي نخـــوة الأقصــى تجّلت لـيس ... يـدرك سرهـــا بـــاراك أو شـــارونُ
هـــذا نـــداء الـقدس في أرواحـنـــا ... عـن عمـــره لا يسأل اللــــيمـونُ

كما أن فلسطين هي موسم شعرنا الأغلى وهي سورية الجنوبية على ثراها استشهد أبناء سورية الأبطال مثل عز الدين القسام وسعيد العاص وغيرهم كثير ،كما أن ولاءنا للقدس ولاء عقائدي وانتسابنا لها مصيري.

من قصيدة "قراءة في مدائن الثورة":

دم يرتدي عنفوان النخيل
يفيض جداول طهرٍ
حدائق عشقٍ
ويغدو بوجه الطغاة انفجارْ
وتدنو السماء لتحتضن القادمين
قوافل عز وغارْ
وللقدس تندى زهور الكلام
لموت ألفناه فخرا وفجرا
وإكليل غارْ
أليست دماء الأباة
منار
فلسطين يا أول الصامدين
ويا آخر الصامدين بوجه التتارْ
ما زلت أنتظر شروق الشمس التي لابد طالعة

عندما نبحث عن صورة القدس في شعر رضوان الحزواني نجده يستحضر رمزية عدد كبير من الشخصيات العربية التاريخية كعنترة وزهير بن أبي سلمى وعمر بن الخطاب وغيرهم كثير ليعرض من خلال هذه الشخصيات واقع القدس وفلسطين والأمة العربية، فهو يعمل على سرد مواجع هذه الأمة لإثارة النخوة الكامنة، مبشراً بولادة فجر جديد يوقف شلال الدماء المتزايد، منتظراً سلام الأبطال لا المتخاذلين.

يقول الشاعر في قصيدة سقوط الرخ مفتخراً بنصرهم في حرب تشرين التحريرية ومستبشراً بنصر القدس وتحريرها بعد وحدة العرب:

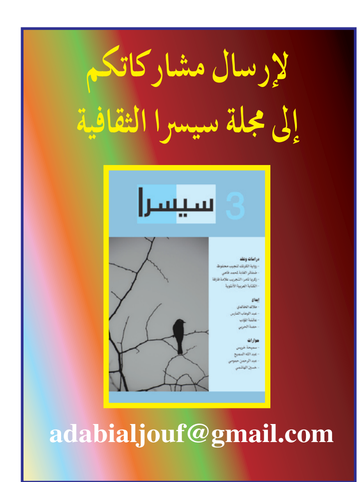
هاتي يمينـك .. يا عفراء .. وانطلقي — فاليوم يشرق في عينيـك نيسانُ
جراحنـــا الحمـــر في أسيافنـــا شعلٌ — وتلـــك أعيننـــا شهـــبٌ ومرّانُ
درب الأحبّـــة بالـــزيتـــون نفـرشه — وإن غضبنـــا فمنّا الإنس والجانُ
لــو تسألين عــــدوّ الشمس يعرفنـــا — كم دوّخته بساح الريـــح عقبـــانُ
وكم رجمنـــاه بالبـــارود فانفجـرتْ — غيومـــه السود واصطادته نيرانُ
فاهتـــزّت القـــدس بالبشرى وواعدها — علـــى المشارف عبـــاسٌ ومــــروانُ

أخبرني الشاعر رضوان الحزواني عن الألم الذي يعتصر قلبه لما تعانيه القدس مسرى الرسول الأعظم محمد ﷺ ومولد رسول السلام عيسى بن مريم في محيطها وقال:

- تأبى القدس وآلام أمتنا وجراحاتها إلا أن تكون مشهداً مؤلماً يسكن روحي وشعري، ولكنني مع ذلك مازلت أنتظر شروق الشمس التي لابد طالعة. أقول في قصيدة أشجان ربيعية:

ما عــدْتُ أحصي جراحات نُكابدُهـــا — بغدادُ والقدسُ بعضٌ منْ مآسيها
واليــــوم غـــزّة أشلاء على حجــر — وحسبها اللـــه من أعدى أعاديهـــا
مــــاذا أحدّثُ يا أمّـــاهُ ! أنت علــــى — وَقْدِ الجراح ، وإنّــا مَنْ نعانيهـــا
لا تقفلي البـابَ، إنّ الشمسَ طالعـــةٌ — مهما أناخَتْ على البلوى لياليهـا

من خلال لقاءاتي السابقة، وبعد قراءتي السريعة لشعر عدد من شعراء حماة وجدت القدس في شعرهم عشقاً مقدساً، وجرحاً يدمي القلب والروح، وثورة عارمة بالحزن والغضب تندد بحالة العرب الراهنة، وترى أن السيف والدماء هما الحل لاسترجاع كل أرض محتلة، مستحضرة تاريخ البطولة العربية، ومطالبة بالوحدة للقضاء على ذل وظلم العدوان، مستبشرة بالأطفال أبطال المستقبل، وبحجارتهم التي ستنير قادم الأيام.



أقواس

قراءة في (بعض) قصائد الشاعرة ملاك الخالدي

الاحتراق حزناً..

■ شيمة الشمري *

على نحو أكيد، يبدو الحزن لصيقاً بالشعر كما غيمة تمطر وجعاً، فتسقي أرض الموهبة والخيرات، لينمو الإبداع بغضّ النظر عمّا إذا كانت تلك الإبداعات أنينا وألما متواصلا .

وملاك الخالدي إحدى اللائي نتلمّس في قصائدهنّ أسى شفيفاً، وهو إذ يتبدّى؛ يتكشّف عن طقوس وسمات خاصة تطلّ برأسها، حتى لكأنّه قدر لا مفر منه، وحكاية مستمرة موغلة في الوحشة تغتال الأزهار دون رحمة . وها نحن نتحرّى الأسباب التي دفعت "الخالدي" إلى الاندغام بالحزن في صيرورته كتوأم ملاصق لها، ربّما لأنّنا لا نجد قصيدة لها تخلو من مسحة حزن وألم، هذا إن لم تكن القصيدة بأكملها تغوص في لجة من الحزن والكآبة !

ليس جديداً القول بأن الشاعر - عموماً - هو ابن بيئته ومجتمعه، فهو ليس بمعزل عنهما، وعليه.. فإنّ الظروف المحيطة به تؤثر سلباً أو إيجاباً في تجربته الشعرية، فإذا ما تأملنا قول "الخالدي" في مدينتها:

للوجع في مدينتي حكاية..
باهظة الحزن
تفاصيلها تسري في الهشيم..
بلا ضوء..

لوقعنا على وجع شديد، ثمّة حكاية ليلية لمدينة في إطار ذات مُبهظة، هي حكاية (باهظة الحزن) عظيمته! حتى أنّ الضوء فُقد من شدة الألم؛ ربّما لارتباطه بالفرح والسعادة عادة، والشاعرة - هنا - تستأنس بالحزن بدلالة مفردات (وجع، مُرّة، الآسنة، الداكنة، ذبلت، فأحرقوا) هي ألفاظ قاتمة تشي بمصاب جلل وحزن كبير. الشاعرة في هذه القصيدة تنعى "نادي الجوف الأدبي" عندما احترق العام الماضي فتقول:

ثمة أغصان مرة
أفرغت دماءها الآسنة

* باحثة أكاديمية وقاصة من السعودية/حائل

في ذلك الماء
ذبلت قلوبهم
فأحرقوا تلك!

تئن شاعرتنا حزناً، وتعبر عن ذلك شعراً في دوائر مرموزة جميلة تتسّع باستمرار، لكنّ الإطالة في هذا المقام لتتناسب مع امتداد ألم قد تشكل، ذلك أنّها قد تنبو قليلاً مع مفهوم التكثيف، على الرغم من الحسرة المُبرّرة على هذه الأزهار - أي على الثقافة والأدب - حين يحاول البعض وأدها وإحراقها، ليظلّ السؤال: هل ستموت؟

نظرة الشاعرة تشي باليأس والحزن، بيد أنّ يأسها لم يمنعها من الاحتجاج على ما يحدث، وبطريقتها الخاصة.

أمّا في قصيدة (شرود الربيع) فإنّ الحزن يلازمها كوشم، فالربيع - وهو فصل الحيوية والجمال - لا يستقر، بل هو في حالة شرود وتشظي، ولنا في ألفاظها المغموسة بالحزن (غربة، أدمت، زفرات رحيل، العويل شكوى، حزني، وجوم، جراحي، انفطار) خير دليل، ذلك أنّها في إيقاع بؤس تردّد:

ملت اصطبار الأسى دون شكوى   ملت مناجاة حزني الجميل
ملت شرود الربيــــع بعيـــــدا   ملت وجوم الخريف الطويل

الخريف دائم إذاً، وهو يحمل سمة الوجوم أيضاً، ممّا يزيد من كآبة الذات الشاعرة وحزنها النبيل، وهي تصف حزنها هذا بـ (الجميل)، لكنّنا لن نتعجب من هذا الوصف، فلقد أقام طويلا في حياتها؛ فألفته وعاشرته. هو لصيق بها، وهي - على نحو ما - لا تعرف غيره، لذلك أتت عليه تحت خانة الجميل، على أمل أن يخفف من وطأته عليها، ومن ثمّ يرأف بحالها!

من هنا نجد أنّ الشاعرة كررت لفظة (مللت)، وكأنها أرادت التنفيس عن ذاتها المتعبة التي عافت تجرع الأسى ومرافقة الحزن، إلى درجة نفد معها صبرها، فكان أن صرخت (مللتُ.. مللتُ.. مللتُ..) مراراً، ما يذهب إلى أبعد من التوكيد والاستنكار، ولكن هل ثمّة من يسمع هذا الصوت؟.. في تحرّي الإجابة سنزعم أنّها وقعت على ضالتها في الليل، فراحت تخاطبه بقولها:

أيا ليـــل هلا أجبت انشطاري   بوحي أم البوح ذاك ثقيل؟
أيا ليل ها قد لثمت جراحـي   وواريتها عن عيـــون وقيل

ومن منّا لا يعلم أنّ الليل رفيق الشعراء والكتاب والعشاق، وأنّ مناجاته تقليد تواتر مراراً، أليس مستمعاً (مناجا) لا مثيل له، ناهيك عن أنّه كاتم أسرار الجميع.

ثمّ نرى الشاعرة تتلوّى ألما في قصيدة "روح تتضور ألماً"، فنتبيّنه في دلالات العنوان عبر وظيفتيه السيميائية والمعرفية، ربّما لأنّ هذا العنوان ينطوي على قصة

تلك الروح البريئة التي يعتصرها الألم، ويدفعها للبحث الدؤوب عن الحرية والثقة و الحق، فتقول:

ودجـــى الليالي لا تغادر دمعة ثكلى وصوت الحزن أصبح عائما
يا صوت حزني صه وغادر عالمي فأنا الذي أمسيت عمري صائما!

كم عات هو حزنها وشفيف، حتى عامَ على سطح حياتها فغمرها، وهي تحاول - هنا - زجره بـ (صه وغادر)، ولكن هيهات..!

هي تكاد تكون صائمة عن الفرح لفرط ما اعتراها من حزن، لقد أدمنته بدلالة مفرداتها: (جرح، دمعة، ثكلى، حزني، الدِما، نزيف، آهات). وها نحن - في المجتبى - نتساءل: لِمَ كل هذا الحزن، ولِمَ كل هذا الألم؟ ما الذنب الذي اقترفته، فرمى بها إلى هذه الغلالة العميقة من الحزن؟ وفي هذا تقول:

أنا كل ذنبي أنني (أنثى) أتت زمــــن الرجـال فلم تـلاق سلما
كـــل السلالم للرجـــال وإنـــه عيب إذا نظـــرت عيونـــي للسما!
سيموت وهج الحرف دون تمامه إن صار ميناء (الشقائق) معدما

إنها صرخة "ناعمة" ولحظة اعتراف بالذنب الجميل (أنثى)، ومطالبة تعي تماماً حقها في المشاركة، دون تحجيم لدورها أو تقليل من شأنها أو وقوف في وجهها لحجج مجتمعية واهية، فهي ترى بأنّ النساء شقائق الرجال، والمشاركة واجب عليها، ناهيك عن أنّها حق لها، ما يذهب بنا إلى احترامها المُفترض.

بقي أن نأتي على أن الجميل في شعر ملاك يتلخص في انتفاء صفة التكلف عنه، فهو يحيلنا إلى الصدق في خطابها الشعريّ، إضافة إلى سلاسة مفرداتها، ولولا صدقها لما سيطر الحزن على شعرها، ليُعبّر عن رفضها سلوكاً أو وضعاً أو عرفاً، فمهمة الشاعر أن يذود بلسانه ما يراه معوجاً.. ليكون أميناً لوجدانه ومشاعره وقناعاته. لهذا سيقع القاريء الحصيف في شعرها على إبداع مُفعم بالتّجارب الشّعوريّة الموحية بالحزن، جاء على شكل تراكمات متضامّة تجلّت من خلال بناء اللّغة الشّعريّة: مفردةً وجملةً وسياقاً، كما تجلّت عبر الأساليب البلاغيّة، والإيقاع الشّعريّ بنوعيه الدّاخليّ والخارجيّ..

قراءة في المجموعة القصصية (بقعة حمراء)
للكاتبة السعودية هدى بنت فهد المعجل

السيموطيقا ومقاربات السرد..

■ سلمان الأفنس الشراري *

أقواس

تبدو القصة السعودية أكثر إشراقا بدخول كاتبات جدد يجددن في مسيرة السرد القصصي، ويقمن علاقات جديدة بين الذات والمجتمع وقضاياه، كما يقمن بطرح القضايا المجتمعية بأسلوب جديد، وقلم سعودي مستشرف لآفاق الحداثة الجديدة، ومن هؤلاء الكاتبة السعودية/ هدى بنت فهد المعجل، تلك القاصة والروائية التي تعيد رتق منظومة السرد لتجدد الحكي، أو السرد الحكائي لتساير التطورات الحداثية الجديدة في مسيرة السرد السعودي والعربي بصفة عامة.

وفي مجموعتها القصصية - بقعة حمراء - تتناول خصائص السرد وتقنياته، في محاولة منها لإعادة صوغ العالم والأشياء من خلال مجموعة قصص تعتمد المفارقة أساساً لتبني عليها أجزاء النسق في قصصها، كما تعتمد السيموطيقا (الدوال والمدلولات) كنمط يجمع الشخصيات القصصية لديها. وهى في هذا تساير أنماط القصص العالمية، أو أنماط السرد الحديث في أوروبا.

وسأتناول قصصها بالنقد والتحليل مظهرا تميزها في هذا المجال، وهو تميز يخدم مسيرة السرد والقصة في المملكة العربية السعودية.

تعتمد هدى المعجل في قصتها "الرولزرايس" على المفارقة كأساس يشترك في معمار النص السردي، أو في بنية السرد بتعبير أكثر دقة، كما تستخدم لغة جاذبة لتسيير السرد نحو غاية تعنيها، فتجعل القاريء يلهث وراء الوصف ليكتشف في النهاية الصدمة التي أوقعته فيها، أو التي أوقعت البطل أحمد في مفارقة الدهشة، إذ أسقط في يده وهو يشاهد الفتاة التي تعودت دعوته لسيارتها الفارهة "الرولزرايس".. وهي تتصل به تارة، وبأخته تارة أخرى لتخبرهما بعارض ألمّ بها وهي في المدرسة. ونلحظ الدهشة هنا بسبب اكتشافه معرفة أخته بها، ثم الدهشة الفارقة حين وجد جرس الباب يقرع، فتهرع أخته لتدخل باسمة - الفتاة التي يحبها - إلى بيته وهي في شبه إعياء، إنها المفارقة التي تحاول أن تلعب على أوتارها بمهارة مما تجعلك - كقاريء - مشدوهاً أمام براعة السرد وسرعة الوصف، كما تجيء لحظة الانطفاء فاجعة، أو صادمة.. فنجد نفس الفتاة التي تطارده في الشارع، هي التي قطعت عليه دائرة البحث بدخولها لمنزله، بل وبمصاحبتها لأخته في المدرسة.

وفي قصتها "شرف طباعة الرواية". تأتي المفارقة في بداية القص، إذ تبدأ

* رئيس اللجنة الثقافية بطبرجل/الجوف

بخاتمة القصة - الخلاصة - ثم تعود بنا إلى سرد الأحداث، وفي هذه البداية المعكوسة - كما أحسب - مفارقة مدهشة، أو هي نتيجة صادمة تقدمها إليك في بداية القص لتستولي عليك بمباغتة محسوبة آسرة، لتجتذبك - كقاريء - لملاحقة التفاصيل، وهذا الأسلوب هو تجديد في تقنية السرد الحكائي، أو معرفة عميقة بأسلوب السرد وإحكامها إياه. ومع أن هذه التقنية ليست جديدة في استخدامات السرد، إلا أن التجديد - في نظري - يكمن في مفارقة الدهشة، وتلخص الحكاية فتقول: (لم أثمن منقداً - يختم فصول الرواية سواه، ويسدل الستار على آخر قطرة حبر بللت ريق الورق المتجعد جفافاً بفعل الحيرة، بعد أن بلغت روحه الحلقوم، فأعادتها له مشيئة الله شبه معاق).

وفي هذا يمكن القول بأن هذه السطور هي قصة بذاتها، إلا أن التجديد في تغريب الحدث، أو محاولة صنع رمزية فارقة، قد تفتح لدى القاريء شهية لاستكمال السرد، فتأتي بقية التفاصيل كمفاتيح لفك مغاليق شفرة النص التي انتهجتها في البداية ، أو هي قصة داخل القصة، تعتمد المفارقة والتكثيف والتغريب كدوائر متداخلة للولوج إلى عالم القص السيموطيقي (الدوال والمدلولات). إنها حكاية قاصة تحاول كتابة رواية.. فنجدها حائرة في صنع النهاية ، لذا نراها تخاطب أبطال الرواية، بل وتنتقدهم أحياناً، وتتشابك معهم في صراع هامس حيناً، وصاخب في أحايين كثيرة، لذا تستخدم أسلوب الحوار كأساس لتنامي السرد.

ثم تأتي المفارقة الثانية في خطاب القطة - إحدى شخصيات الرواية التي تحادثها - والتي لم تجد مكاناً للتغوط.. فنراها تجذب بعض أوراق الرواية لتقضي حاجتها، بينما ناشر الرواية ما يزال ينتظر ليحظى بسبق طباعتها. إنها نهاية مفتوحة بالطبع، لكنها محكمة في تتابع التفاصيل، ومتعة السرد التي تجعل الكاتبة تتشابك مع شخصيات الرواية، بينما القاريء يلهث ليكتشف الأحداث، وكذلك الناشر ينتظر.
إن دائرة السرد نراها هنا قد اكتملت، وأخذت شكلاً مغايراً، فالسرد - لديها - يبدأ بالنتيجة الكلية ثم ينتقل إلى الجزء، ثم تتداخل دائرة السرد من الجزء إلى دائرة أخرى داخل الجزء، - مخاطبة شخوص الرواية والتشابك معهم في حوارية -، ثم تخرج من هذه الدائرة إلى نهاية فاجعة (فعل القطة)، وتأتي النهاية الفارقة في حيرتها من لهفة الناشر وانتظاره.

وعبر دائرة السيموطيقا (الدوال والمدلولات) تبدو المفارقات (مفارقات كلية / مفارقات جزئية)، ثم نراها تستخدم ذلك المعادل المعنوى (التخيلي) في مخاطبتها لشخوص الرواية، والذي يمثل كل الأشياء المادية التي تحرك الأحداث - داخل النص - والذي يمثل كذلك (العالم والمجتمع): عالم الرواية وأحداثها، والعالم بشكله المادي المتسع للحلم والواقع، للحياة والموت، للتفكيك والتركيب.. الخ.

إن ما تقدمة هدى المعجل شكل فارقاً في الكتابة، لاستخدامها أكثر من أسلوب في السرد: من حيث مفارقة الشكلية في البداية، واستخدام الحوار (الاستبطان الداخلي) لمحاورة الذات الساردة، ومحاورة شخوص الرواية واستنهاضها لإيجاد معادل موضوعي يناظر الكون والطبيعة والعالم، وليختزل أيضاً العالم المادي في (كبسولة)، أو التكثيف الشديد للغة التي تقارب الشعرية فتقول: (لماذا أنت مقعد/ أنت من

فعل بي ذلك/ ولكني تركتك معتلياً قمة الجبل/ تريد الانتحار).

كما تجيء العبارات التقريرية لاستجلاء الحكمة ، وتأكيد مفارقة الدهشة والتهكم، حتى على نفسها، وعلى البشر، وكل القرّاء للرواية فتقول: (منذ متى تقرأ القطط خربشات البشر على الورق..؟ لو كانت كذلك لما استدانت فصول الرواية لتتغوط عليها، وصاحب النشر مازال مستمراً في طلبه "للرواية ليحظى بسبق طباعتها)، وهكذا تجيء النهاية عبثية تهكمية من الكاتبة لتنسحب إلى كل كتاب الرواية، حيث تصف الكتابة - بخربشات البشر على الورق - وهي نهاية عبثية كذلك، نهاية لم تصنع فيها الكاتبة نهاية، بل تركتها متخيلة، لتدلل على أن ديمومة الحياة متسعة ومتشابكة، بل وتستدعي أكثر من حل لفك شفرات الحياة والعالم.

كما تجيء أغلب شخصيات الرواية نسائية، أو بين شاب وفتاة، بما لا يستدعي تعقيداً في السرد، إلا أن نهايات قصصها تأتي فارقة أو صادمة.. ومن ذلك قصص: (مسحوق الزجاج، لحظة الارتطام، بقعة حمراء، ممتاز مع مرتبة الشرف). فالبطل فى النهاية يموت تحت تأثير حادث مروع، وكأننا أمام قصص بوليسية، أو تراجيدية، غير مبررة، فهى لم تمهد للموت المفاجيء في هذه القصص، كما نلحظ أن أغلب أحداث القص تدور حول فتاة في المدرسة كما في قصص: (ممتاز مع مرتبة الشرف، والرلزرايس)، أو حول طفل لا يريد الذهاب إلى المدرسة، لأن أمه لم تشتر له مريولاً.

ومع أن بعض قصصها تعالج بعض القضايا المجتمعية كقصص: (كهل متصاب - ذات الأرجل الأربعة - الفهم المفرد - صديقتها الأثيرة).. إلا أن العناوين تبدو لأول وهلة مفسرة لمحتوى السرد، فـ "الكهل المتصاب" المصاب بعنة لا يجد حرجاً في الزواج بأكثر من فتاة صغيرة ليداري عجزه، وقصة "ذات الأرجل الأربعة" تتحدث عن صاحب مكتب فصل من العمل، فأراد أن يأخذ المكتب ليقدمه لزوجته هدية في عيد ميلادها، أو ليبيعه.. فيجد أن المدير الجديد قد استولى عليه. كما تتحدث قصة "الفهم المفرد" عن فتى ضعيف الفهم غير قادر على استيعاب معاني اللغة، وقصة "صديقتها الأثيرة" تتحدث عن فتى عربيد يترنح من السكر ولا يخجل أن يمارس الرذيلة مع صديقة أخته التي تكتشف ذلك، وهى قصص فى مجملها تتحدث عن وقائع اجتماعية عادية، والكاتبة - كما يبدو - لا تتعب نفسها في استجلاء، أو استكناه ما وراء الأحداث، أو هي تصف الشخصيات والأحداث دون أن تتدخل - ولو بطريق غير مباشر - في تنامي الأحداث ، بل تكتفي بالوصف المباشر وربما غير المبرر أحياناً، ومع هذا فرشاقة اللغة تبدو هي المحرك الرئيس للسرد الوصفي. ولكن - في رأيي - لا تكفي جماليات اللغة في صنع قصص فارقة كالتي عرّجنا عليها سابقاً. ومع كل ذلك تأتي قصصها: (غداً يأتي الله لنا بخير) لتحمل المفارقة العذبة، والدهشة الصادمة، والسرد الحميم، فهي قصة إنسانية في المقام الأول، لحكاية أسرة فقيرة يسعى كاهلها إلى العمل فترتين لسد احتياجات الأسرة، ولإحداث مبدأ التكافؤ في تعويض الزوجة الثرية - زوجته - التي ارتضت الاقتران به مع فقره.. لتنتقل من بيت والدها ذي الثراء الفاحش إلى الفقر المدقع، ولأن الحب يجعل الإنسان يغير الكثير من طباعه، نراها تستمريء الفقر من أجل العيش إلى

جانب من اختارت وأحبت، ويأتي القدر ليموت والدها الثري فتأخذ المال وتعطيه لزوجها، وهنا يبدأ التمرد من جانب الزوج على الزوجة. فنراه – وقد أصبح من رجال الأعمال – ينفق بثراء ويتاجر دون تخطيط، فتغرق الباخرة التي تقل بضاعته، فيعود إلى منزلة مرتجفاً ومخبراً زوجته وابنته بخسارته لكل ماله. وهنا تبدأ المعاناة من جديد، أو تبدأ دائرة السرد في العودة إلى البؤرة الأولى (حياة المعاناة من جديد) وتتخرج الفتاة – ابنته – من الجامعة فتصبح طبيبة: الدكتورة سمية أنور سامي العدنان) وتفتح عيادة، وفي أول يوم تفاجأ طبيبة الأطفال بأم طفلة تحمل ابنتها المريضة وتستنجد بها، فتقوم بعمل الفحوصات اللازمة وتصف لها العلاج، وعندما سألت الطبية عن اسم الطفلة لتحرر لها بطاقة دخول للعناية المركزة تفاجأ بالاسم (هاجر أنور سامي العدنان) إنها أختها من أبيها الذي تزوج على أمها، وهنا تعقد الدهشة لسانها، فتطلب من الأم نطق الاسم ثانية، فتتأكد أنها أختها، وتصبح النهاية الصادمة متوالية لتكرار دائرة الأحزان، فقد ظنت أنها بتخرجها ستعيد البهجة إلى أمها المثابرة، ووالدها الذي ظنته يقاسي من أجلهما، فإذا بالمفاجأة تلجم لسانها لتعيد إنتاجية دائرة الحزن أو الصدمة الفارقة..

إن هذه القصة التي صاغت إحكامها ببراعة تعيدنا إلى تكرار وصفنا لقصص هدى المعجل بالفارقة، بل والمستشرفة آفاقاً أكثر إنسانية ورحابة للقص، كما أن رشاقة اللغة وموضوعها التي تعالج لغة الحياة اليومية ببساطة – عبر المفارقة – تعيد للذهنية براعة الكاتبة في إنتاج نصوص تحاكي المشاعر الإنسانية، وتعمّق من فهم الإنسان للحياة وللواقع وللعالم، وتفتح أمامه باباً للتأمل، ولاستجلاء حياة أكثر مثابرة، لنجابه بالحياة الحياة والكون الممتد.

إن هدى المعجل – في بقعتها الحمراء – تفتح كوّة لاستشراف نافذة أكثر عمقاً في مسيرة القص، كما تقدم النماذج الدالة لاستشراف أسلوب سلس للقص، وجديد أيضاً، وأحسبها قد نجحت بقدر ما تطيق في اقتحام غيوم غطّت لعقود طويلة مسيرة شمس القصة في المملكة العربية السعودية.

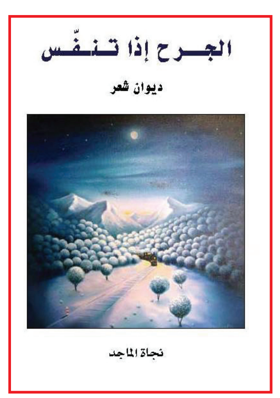
وبعد: أترانا مع الكاتبة في تساؤلاتها عن البقعة الحمراء: لم تكن بقعة واحدة تلك التي وقعت.. بيد أنها وقعت!! والسؤال: كيف؟!

ستظل الأسئلة ممتدة، والمسيرة في تلاحق، وأحسب أن مثل هذه الكتابات تستشرف تاريخاً للقص عبر مسيرة السرد هناك، كما أن الكاتبة قد أجهدت نفسها كثيراً، ونحن نشدّ على يديها من أجل تحرير مسيرة السرد، ولو على مستوى الشكل، ويظل موضوع السرد (الحكي) نقطة تساؤل لاستجلاء واقع جديد ليس به أية بقع حمراء، بيد أنها ستكون معنية بها، ونحن أيضاً كذلك.

كتب



الكتاب: الجرح اذا تنفس (شعر).
المؤلّف: نجاة الماجد.
الناشر: نادي الجوف الأدبي.



يقع الديوان في (٩٨) صفحة من القطع المتوسط، صدر الديوان الأول للشاعرة نجاة الماجد، ضمن إصدارات نادي الجوف الأدبي الجديدة، واشتمل على ست وثلاثين قصيدة عمودية بكل إبداعية وبراعة، نأت بها الشاعرة عن الأوزان العرجاء والقوافي المبتورة.

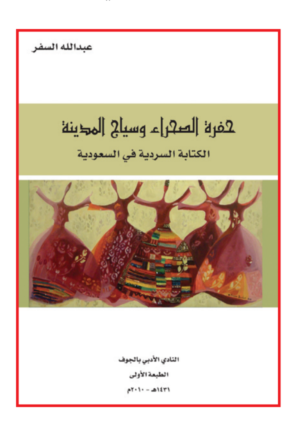
لقد استطاعت نجاة الماجد في هذا الديوان بإبداعية نادرة أن تثير في الحبّ نشوته، وفي الذكر فحولته، وفي المرأة هيامها، وفي الطبيعة وسامتها، وفي العروبة نخوتها وفي البشرية إنسانيتها من خلال مزجها بين قصائد الذات والمجتمع والوطن، وكانت الطبيعة الأنثوية المبدعة عي اللحمة بين هذه الأقطاب، فضلا عن الحضور القوي للمرأة في هذا الديوان الذي أضفى شفافية على المعنى وعذوبة في الموسيقى. ولعل اختيار الشاعرة لهذا الديوان (الجرح إذا تنفس) يحمل دلالات كثيرة أهمّها أنّه متماش مع إحساسها بمرارة الألم، ورغبتها في الإصرار على الحياة، ويؤكد على أن السعادة رغم حرص الإنسان عليها لا تولد من المشاعر إلا شذرات مما يولدها الألم.

الكتاب: غواية بيضاء (شعر).
المؤلّف: ملاك الخالدي.
الناشر: نادي الجوف الأدبي.



وعن النادي الأدبي في الجوف صدرت أولى منتجات شعرية فصيحة لشاعرة من الجوف هي ملاك الخالدي بعنوان (غواية بيضاء). و"غواية بيضاء" ليس مجرد نظم موزون، ولكنّه انّات محزون، وهو مع ذلك يجسّد وعي الشاعرة لما يدور حولها وأمامها. جاء الديوان ضمن (٤) جوانب تمثلت بالجانب الديني الذي اشتملته مقطوعتان، هما: تراتيل بيض، وضوء سماوي. أما الروح الوطنية فقد عكستها مقطوعات شعرية وقصائد منها: وطن البياض، وأنشودة المشتاق. والروح القومية اشتملتها قصيدة واحدة، تحدثت فيها عن ثمرة ما واجهته غزة من عدوان إسرائيلي همجي. وأخيرا جاء الجانب الوجداني، الذي شمله ما يقرب من نصف قصائد الديوان، عكست من خلالها الشاعرة حرقتها المجروحة، وآهاتها الملتاعة، على نحو ما جاء في قصيدتها (غربة البياض). وتمكنت الشاعرة ملاك الخالدي في ديوانها (غواية بيضاء) من المزج بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة، تأكيدا على نضوجها الشعري من حيث أصالة الملكة، وخصوبة القريحة الشعرية.

الكتاب: حفرة الصحراء وسياج المدينة؛
الكتابة السردية في السعودية.
المؤلّف: عبدالله السفر.
الناشر: نادي الجوف الأدبي.

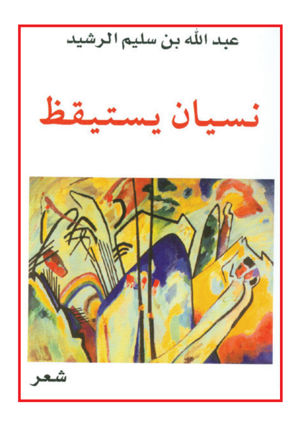


في مزيج فريد وصنعة جديدة أنجز الناقد السعودي عبد الله السفر كتابه النقدي (حفرة الصحراء وسياج المدينة) من مجموعة متابعات نقدية عن الكتابة السردية في السعودية على مدى فترة من الزمن، وصدر أخيرا عن النادي الأدبي في منطقة الجوف.

يقع الكتاب في (١٧١) صفحة من الحجم المتوسط، ويتكون من قسمين اثنين: الأول حمل عناويناً مثل، "الاحتجاز مفتاح الرواية"، "يا أيها اللون ماذا فعلت؟"، "يد تصنع انعتاقها"، "برتقالة بحجم البطيخة"، "بلا طعم"، "سقوط يوقظ الروح الجميلة"، "الرائحة تريد أن تفوح"...الخ.
أما القسم الثاني، فقد احتوى على موضوعات نحو: "الذاكرة"، "ملاذ الروح ووجعها"، "مسعى الخلاص بمذاق صوفي..".

ويعلن الكاتب أنه ثمة خير في الرواية السعودية يتوسّع الآن للوقوف على حيوات البشر كما هم، كما خلقهم الله سبحانه، يعيشون قلق الجسد، وتململ الروح.

الكتاب: نسيان يستيقظ (شعر).
المؤلّف: عبد اللّه بن سليم الرشيد.
الناشر: مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.



صدر عن مؤسسة الانتشار العربي ببيروت عمل إبداعي جديد للشاعر السعودي عبد الله الرشيد، الذي صدر له سابقا عن نادي الرياض الأدبي مجموعتان شعريتان بعنـوان "خاتمة البـروق"، و "حروف من لغة الشمس"، كما نشر مجموعة ثالثة صدرت عن نادي الجوف الأدبي بعنوان "أوراد العشب النبيل".
ويتسم هذا العمل الأدبي الذي يقع في (١٣٣) صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على (٤٩) قصيدة، تراوحت بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة، بمد جسور التواصل مع المتلقي العربي على نحو يثيره، ويدفعه إلى الحراك البنّاء والواقع المأمول.
ولعلّ إطلاق الرشيد على ديوانه عنوان: (نسيان يستيقظ) نابع من رغبة في الخروج بعمل شعري إبداعي تتداخل فيه روح الشعر مع النثر إلى حد بعيد، لكنّه يطفح بعوالم يهيمن عليها الألم والحصار الفكري.
وأخيرا يكشف الرشيد عن تجربة شعرية تتجاوز مفردات القاموس الذي حفظه من مناهج الجامعة، واتجاهه نحو عوالم أكثر رحابة وأبعد إشراقا ورؤيا.

الكتاب: لا تجرح الماء (شعر).
المؤلّف: أحمد قرّان الزهراني.
الناشر: رياض الريس للكتب والنشر



صدر مؤخراً عن رياض الريس ديوان شعري بعنوان (لا تجرح الماء) للشاعر أحمد قرّان الزهراني، ويمتدّ على مئة وإحدى وعشرين صفحة من الحجم المتوسط، تحتوي على اثنين وعشرين نصاً من شعر التفعيلة المقفاة مع المحافظة على الوزن والإيقاع.

واستطاع الزهراني بما توافر له من ملمح استثنائي في استخدام اللغة، وفي التعامل مع جوهر القضايا والأشياء، أن يواصل إصراره على إعطاء القصيدة الجديدة تجليات وجماليات فنية مستمدة من موروث حضاري شديد الغنى والثقافة. فالزهراني نزّاع وتوّاق إلى التجديد، ويتضح ذلك في حرصه على استثمار ما توحي به البلاغة القرآنية من خلال تجاوز المعاني المحددة، فتبقى مرجعية الشاعر.. ظاهرة في صياغة تنميته الشعرية الأولى، أي العشق، ورومانسية الموضوعات والإيقاع.

وتظلّ لغة الزهراني في ديوانه "لا تجرح الماء" مزيجاً بين الخفاء في غموض شفيف، والتجلي في رؤية مكشوفة، فديوانه غدا خطابات شعرية متباينة ، أثرت درامية الأحداث، وشكّلت شعرية قصائده.

الكتاب: في المنعطف "قصص قصيرة"
المؤلّف: عبد اللّه النصر.
الناشر: نادي المنطقة الشرقية الأدبي.



عن منشورات نادي المنطقة الشرقية الأدبي، صدر للكاتب والقاص عبد الله النصر مجموعة قصصية بعنوان (في المنعطف).

وجاءت المجموعة في (٨٠) صفحة من القطع الصغير.

وقد أقام القاص مجموعته على المراوحة بين الكشف والغموض، ليقيم تواصلا مع القاريء، ويجعله يشاركه بوح الذات البشرية، وما يجول في خاطره من آهات وأنّات تعتمل في نفسه.

ويفجّر القاص النصر بلغته التماسا مباشرا مع واقع الحياة اليومي، ورتابة النظام الإنساني للعمل ومواجهة الواقــع، لذا تناوبت عناوين قصصه على التقارب من المفهــوم، والتبــاعد أحيانا أخـرى لتنأى إلى عــوالم أكثــر رؤيــة وإشراقا.

وتظلّ قصص النصر احتكاكا قويا مع لغة الأدب، وتشربا لثمالة التلهف الإبداعي، والاختراق الدلالي لأبعاد الثقافة الهادفة إلى الاتصال مع جمهور القرّاء.

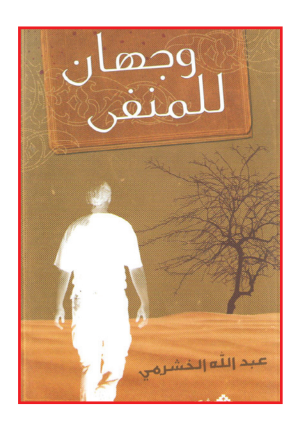
الكتاب: البيروقراطية والتمثيل البيروقراطي والتكافؤ في المملكة..
المؤلّف: د. حمد الوردي.
الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية.



انطلاقا من رسالة مركز دراسات الوحدة العربية في نشر الثقافة والمعرفة صدر مؤخراً كتاب بعنوان (البيروقراطية والتمثيل البيروقراطي والتكافؤ في المملكة..) لـ د.حمد الوردي، وقد اشتمل الكتاب على تقديم ومقدمة وخمسة فصول، ويقع في (٢١٦) صفحة من القطع الكبير.

تأتي أهمية هذا الكتاب كونه يدرس طبيعة نظام الخدمة المدنية في المملكة العربية السعودية وتطوره، فضلاً عن النظر في التقسيم المناطقي لبعض الوزارات والإدارات التي تعنى بتخطيط البرامج التنموية وتمويلها وتنفيذها، وذلك لتحقيق توازن التنمية الاجتماعية والاقتصادية على صعيد المناطق. وفي قراءة مختلفة لهذا الكتاب يتضح الربط بين التميّز البيروقراطي من جهة، ومسألة تحقق أو عدم تحقّق العدالة في توزيع الثروة ومخرجات التنمية بين المناطق من جهة أخرى، ما يدفع إلى الاستنتاج بأن إصلاح البيروقراطية على نحو جذري يتطلب تبني إصلاح دستوري يقوم على إصدار مبادرة إصلاحية تتكون من عناصر وحزمة دستورية شاملة ومتكاملة.

الكتاب: وجهان للمنفى (شعر).
المؤلّف: عبداللّه الخشرمي.
الناشر: دار شرقيات للنشر والتوزيع.



أضاف الخشرمي مجموعة شعرية جديدة إلى إنتاجه الشعري، وأطلق عليها (وجهان للمنفى).

جاء الديوان الجديد في (١٠٥) صفحات، متكئا على شعر التفعيلة ذات القصائد القصيرة.

يداعب الخشرمي في ديوانه (وجهان للمنفى) وجدانيات قلبه المجروح، وعبرات عينيه المنسكبة، فضلاً عن شروعه بالنهل من منبع اللغة العروضية التي طغت على نصوصه الشعرية.

لذلك حملت قصائده مسميات تصدح بالأنوثة مرّة، وبالتأملية الذاتية مرّات أخرى، لتعكس مرآة الشاعر الداخلية.

وبعد، سار الخشرمي على وتيرة العاطفة الحالمة لوجود ممتلىء بالإنسانية، ودعة العيش، بعيداً عن مفاضلة الجنس، وتعالي الطبقة، بما فيها نبذ الآخر ورفض جميع أشكال القسوة والجفاف.

نوافذ

سماء جديدة..

■ ملاك الخالدي *

في الحادي والعشرين من مارس تُولدُ سماءٌ جديدة، يستظلُ بها المتعبون ويأوي إليها البائسون، بينما يغردُ عشاقها في كل وادٍ وأمنية!

سماءٌ بيضاء تتجلى لقلوب الآبقين لابتهالات الجمال والنقاء، ينتظرونها كل ذات أمل ليغتسلوا بوَدقها النوراني.

هكذا هو الحادي والعشرين من مارس (يوم الشعر العالمي) يأتي ليحتفي بالشعر وأربابهِ.. فيرسلهم أغاريد من خلود.

ففي الحادي والعشرين من مارس يتجددُ الوفاء للحروف المنسكبةِ بالبهاء والحب والأمل، كما نستعيدُ قلوباً أبحرتْ في أمواج الشعر طويلاً.. ولم تجد غير موانئ الملحِ و الجفاف!

في الحادي والعشرين من مارس نستحضرُ عظمة أرواحهم ونضالهم وبهاء روائعهم الخالدة.. فنرسمهم في قلوبنا من جديد.

في الحادي والعشرين من مارس نرسلُ أحلامنا وآهاتنا وآمالنا للعالم.. ننطق بالحب وننشدُ الصفاء، ونصرخُ بوجه الحيف.

في الحادي والعشرين من مارس نزرعُ الفضاءات الجرداء بالنور ونسعى للنهوض بعزيمة تمحو كل البقع الداكنة داخلنا وحولنا.

في الحادي والعشرين من مارس نقفُ لننظرَ إلى أفقٍ أرحب يحضننا جميعاً!

فالحادي والعشرين من مارس منطلقٌ لرسم لوحةٍ أجّمل لواقعنا، فهو لكل الأرواح الجميلة..

وإن خلعوا عليه يومَ الشعر العالمي فذلك لأن الشعر إكسير الحياة، فهو يوم الحياة يتجددُ لكل نبضٍ و كل لحظة!

وأختم بالقول:

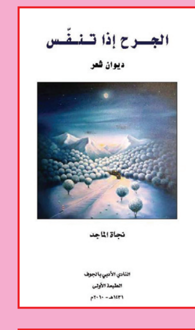
إن قيـل للشعراءِ يومٌ واحدٌ   فجميعُ أركان الدُنا أوتارُ
هذي الحيـاةُ بمائها و هوائها   وبنبضهـا وبنـاسها أشعارُ

كيفَ لي أنْ أتغنّى بالزهورِ والبياضِ كلَّ صباحٍ والعَالمُ يحترق!.

* الجوف/ سكاكا

من إصدارات نادي الجوف الأدبي الثقافي



























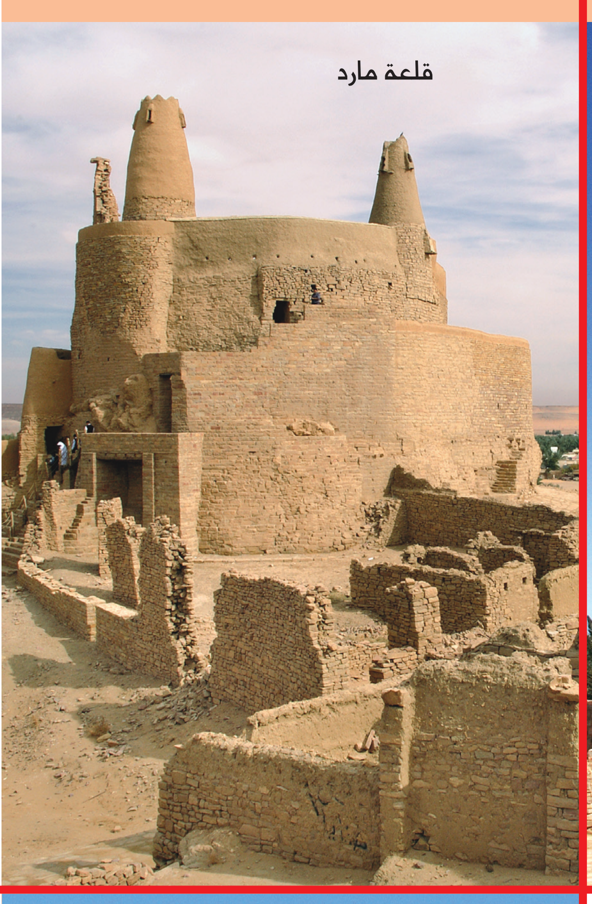


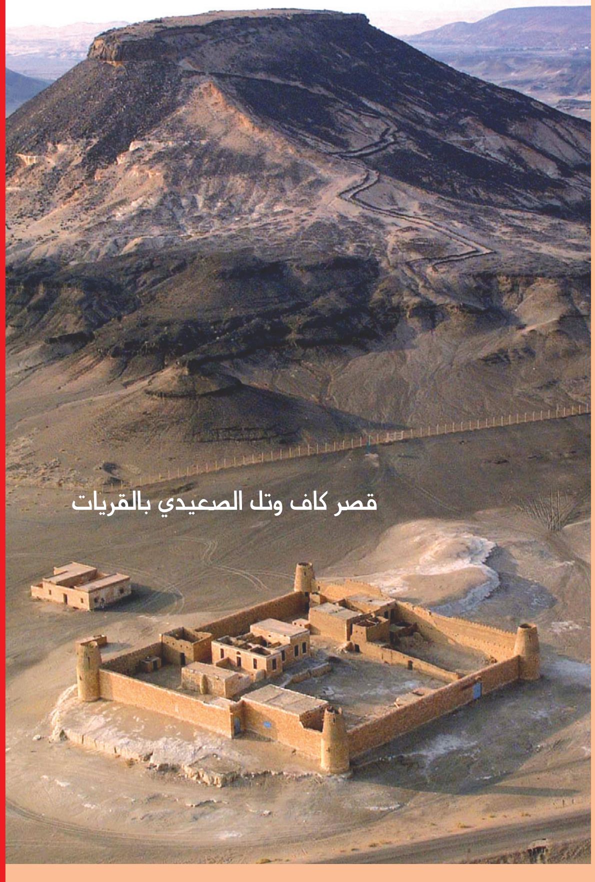







مسجد عمر بن الخطاب
بدومة الجندل


قلعة مارد


قصر كاف وتل الصعيدي بالقريات


قلعة زعبل بمدينة سكاكا

ردمك: ٥٢٥٩ – ١٦٥٨